توفيق الحكيم

مصير صرصار



مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم



مصير صرصار

مسرح

1966

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

منذ أن كتبت عن الصراصير وهي تحوم حولي بالحجرة في ألفة وبدون كُلفة! ... ولست أدري ما سر اهتمامي بالحشرات؟ ... إلا أن يكون بي عرق حي من قدماء المصريين، الذين كانوا يجمعون بين الحشرة والإنسان في هيكل واحد؛ فهذا تمثال له رأس جعران وجسم إنسان!

* * *

لا أستطيع تخيُّل عمل فني تخيُّلًا كاملًا ... لا بد لي من ركيزة، ولتكن صغيرة، من حقيقة أو واقع ... ولقد رأيت في الواقع صرصارًا يكافح للخروج من حوض حمامي ... ما أروع منظر الإصرار على كفاح لا أمل فيه!

* * *

لا أريد أن أُدخِل هذه المسرحية في نطاق المأساة أو الملهاة ... إنها مجرد مسرحية وكفى، ولكن «الإصرار على كفاح لا أمل فيه»، هو في مفهومي جوهر التراجيديا ... وهذا المفهوم يجعلني لا أتقيد بالتعريفات المألوفة؛ فليس الحزن ولا الكوارث ولا موت البطل بشرط عندي للتراجيديا؛ إنما الشرط أن تكون نهاية البطل نتيجةً لصراعه مع قوة لا قِبَل له بها ... وعلى ذلك فإن «هاملت» تخرج عندي من نطاق التراجيديا لتدخل في نطاق الدراما؛ لأن نهاية «هاملت» جاءت نتيجة طعنة من سيف مسموم، خارجة عن جوهر مأساته، وكان من الممكن ألّا تصيبه وأن يعيش، وأن يحكم بلاده الحكم الصالح ... في حين أن «عطيل» تدخل عندي في نطاق التراجيديا؛ لأن نهايته جاءت نتيجةً حتميةً لجوهر المأساة، وللموقف الذي صار إليه ... هناك

موضوعات يمكن معالجتها تراجيديًا، ولكنها تُعالَج على نحو آخر ... مثال ذلك مسرحيتي «إيزيس» ... إني لم أجعل منها تراجيديا، بل مسرحية قد تكون سياسية ... في حين أن «مشلينيا» في أهل الكهف أراد أن يعيش حياة جديدة مع من يحب، ولكن الزمن الجديد رفض ... رفض إرجاع عقاربه إلى الوراء ... إن المجتمع الجديد في رفضه وطرده لأشباح الماضي، له قوة لا تُقاوَم. وعلى الرغم من إصرار «مشلينيا» ومجادلته فإنه أدرك أن الهوة التي أمامه لا يمكن اجتيازها. كذلك «أوديب» عندي كانت نهايته نتيجة محتومة لموقفه، كما هي عند «سفوكليس»، ولكني أضفت إليه سلاحًا من أسلحة عصرنا، هو العقل الجدلي، زيادةً في تمكين البطل من مواجهة مصيره، فجعلته يحاول جاهدًا بالمنطق إقناع «جوكاستا» لتفادي الكارثة، ولكن كل كفاح بشري عديم الجدوى أمام تلك القوة التي لا قِبل للإنسان بها، ومع ذلك يكافح ... وهنا مأساة الإنسان وعظمته!

الفصل الأول

الصرصار ملكًا

(المكان ساحة رحبة ... وهذا بالطبع في نظر الصراصير. أما في الواقع فهذه المساحة ليست سوى بلاط حمام في شقة عادية ... وفي صدر هذه الساحة يقوم جدار هائل، ليس سوى الجدار الخارجي لحوض «البانيو» ... والوقت ليل. أما في نظر الصراصير فهو نهار ... لأن وهج النور عندنا يُعمي أبصارها ويجعلها تختفي أو تنام ... وفي البداية لا يكون الليل قد هبط تمامًا؛ أي إن نهار الصراصير في مطلعه ... والملك واقف بنشاط قرب ثقب في الركن، لعله باب قصره، وهو يصيح في الملكة النائمة داخل القصر.)

الملك: قومي استيقظي! حان وقت العمل.

الملكة (من الداخل): لم يطلع فجر الظلام بعد!

الملك: سيطلع حالًا.

الملكة: هل اختفى تمامًا وهج النهار الذي يعمي الأبصار؟

الملك: سيختفي حالًا.

الملكة: إلى أن يختفي تمامًا ويطلع الليل تمامًا ... دعني وشأني، ولا تتعبني!

الملك: يا للكسل! يا للكسل!

الملكة (تظهر): إني لست نائمةً ... ويجب أن تتذكر أنه لا بد لي من الزينة والتواليت!

الملك: الزينة والتواليت! ... آه! إذا كانت كل الزوجات مثلك فقولي على كل الأزواج السلام!

الملكة: أنا ملكة ... لا تَنْس أني الملكة!

الملك: وأنا الملك!

الملكة: أنا مثلك سواء بسواء ... لا فرق بيننا في شيء.

الملك: يوجد فرق ...

الملكة: ما هو هذا الفرق من فضلك؟

الملك: الشوارب!

الملكة: أنا لي شوارب كما أن لك شوارب.

الملك: نعم ... ولكن شواربي أنا أطول من شواربك. ...

الملكة: هذا فارق غير ملحوظ.

الملك: يُخيّل إليكِ.

الملكة: بل يُخيّل إليكَ أنت ... خيالك السقيم هو الذي يُصوِّر لك دائمًا وجود فارق بيني وبينك.

الملك: هذا الفارق موجود ... ويراه بوضوح كلٌ من له عين بصيرة ... وإذا لم تُصدّقي فاسألي الوزير والكاهن والعالِم، وكل هؤلاء السادة الأفاضل المتصلين بالبَلاط.

الملكة: البلاط؟!

الملك: ممنوع السخرية من فضلك! عندي شعور متزايد بأنك تحاولين دائمًا الإقلال من قيمتي.

الملكة: قيمتك؟!

الملك: وسلطاني ... تحاولين دائمًا الانتقاص من سلطاني.

الملكة: سلطانك؟! سلطانك على من؟! ليس عليّ أنا على كل حال ... أنت لست أحسن مني في شيء ... أنت لا تطعمني ولا تسقيني ... هل أطعمتني مرة؟! أنا التي أُطعم نفسي كما تُطعِم أنت نفسك ... أتنكر ذلك؟!

الملك: لا يوجد في مملكة الصراصير كلِّها أحد يُطعِم الآخر ... كل صرصار يسعى إلى رزقه بنفسه.

الملكة: إذن أنا حرة في أمر نفسي؟

الملك: ومن قال إنك غير حرة؟!

الملكة: اتركني إذن وشأني ... أنا التي أقرر متى أعمل ومتى أكسل ... متى أنام ومتى أستيقظ.

الملك: أنت حرة طبعًا ... ولكن بصفتك ملكة يجب أن تكوني قدوة حسنة.

الملكة: قدوة حسنة لمن؟

الملك: الرعية طبعًا.

الملكة: الرعية؟! وأين هي الرعية؟! أنا طول عمري ما رأيت حولك أحدًا خلاف ثلاثة فقط لا غير ... هم الوزير والكاهن والعالِم العلّامة.

الملك: كفاية ... إنها النخبة والصفوة الممتازة.

الملكة: ولكن بصفتك الملك، لا بد أن يجتمع حولك الشعب.

الملك: أنسيت طباع جنسنا؟! نحن لسنا مثل تلك المخلوقات الصغيرة التي تُسمّى «النمل» ... تلك التي تجتمع بالألوف في كل وقتٍ للفارغ والملآن.

الملكة: لا تُذكِّرني بالنمل! ... ملك مثلك يزعم أن له قيمة وسلطانًا، ولا يعرف كيف يحلّ مشكلة النمل!

الملك: مشكلة النمل! آه، آه!

الملكة: آه، آه؟! هذا كل ما عندك؟!

الملك: ما الذي ذكّرك بالنمل الآن؟!

الملكة: تهديده الدائم لنا ... ملكة مثلي في مقامي وجمالي وأناقتي وأُبّهتي، أسير في كل خطوة وأنا أرتعد خوفًا من أن تزل قدمي وأنقلب على ظهري ... والويل لي إذا انقلبت على ظهري ... فإني سرعان ما أُصبِح فريسة لجيوش النمل.

الملك: احترسي إذن من أن تنقلبي على ظهرك!

الملكة: أهذا هو كل ما لديك من حل؟!

الملك: تريدين حلًا في يوم وليلة لمشكلة قديمة قِدَم الأزل؟!

الملكة: اسكت إذن ولا تُفاخِر بطول شواربك!

الملك: أرجوك ... لا تُكلِّمي الملك بهذه اللهجة!

الملكة: الملك! ... أتساءل من الذي جعلك ملكًا؟!

الملك: أنا الذي جعلت نفسي.

الملكة: وما هي الملابسات والإجراءات التي أوصلتك إلى العرش وأجلستك على أريكة الملك؟!

الملك: ملابسات وإجراءات؟! أنت مغفلة ولا مؤاخذة!

الملكة: أعترف أني مغفلة في هذا الأمر فعلًا!

الملك: أيٌ ملابسات وأيٌ إجراءات يا سيدتي؟! ... المسألة أبسط من كل ذلك ... استيقظت ذات صباح ونظرت إلى وجهي في المرآة ... أقصد في بركة ماء قرب البالوعة ... تعرفينها أنت جيدًا هذه البالوعة ... تلك التي تلاقَينا عندها أول مرة ... أتذكرين؟

الملكة: طبعًا أذكر ... لكن ما هي العلاقة بين البالوعة ووجهك والعرش؟!

الملك: اصبري قليلًا وأنت تعرفين ... قلت لك إني نظرت إلى وجهي في المرآة ... هذا شيء تفعلينه أنت بالطبع كل يوم، وربما كل ساعة، لتطمئني على رونق وجهك.

الملكة: نحن الآن في وجهك أنت ... تكلّم ولا تخرج عن الموضوع.

الملك: قلت لك إني نظرت إلى وجهي في المرآة ... كان ذلك عرَضًا بالطبع ... أي عن طريق المصادفة البحتة ... أي لم يكن ذلك مقصودًا، وأقسم لك!

الملكة: ما علينا ... نظرتَ إلى وجهك في البالوعة، فماذا وجدت؟

الملك: وجدت ما أدهشني وأثار في نفسي ...

الملكة: الغم؟

الملك: بل الإعجاب.

الملكة: الإعجاب بماذا؟!

الملك: بطول شواربي ... أعجبني فعلًا طول شواربي ... فقمت من ساعتي وتحدّيت جميع الصراصير أن تقارن شواربها بشواربي؛ فإذا اتضح أن شواربي أنا هي الأطول أصبح الملك على الجميع.

الملكة: وقَبِلوا التحدي؟

الملك: لا ... سلّموا لي على الفور، قائلين إنه ليس لديهم وقت لقياس الشوارب.

الملكة: وبهذا أصبحت تلقائيًا صاحب جلالة!

الملك: بالضبط.

الملكة: وهل قالوا لك ما هي اختصاصاتك؟

الملك: لا.

الملكة: وهل قالوا ما هي واجباتهم نحوك؟

الملك: لا ... قالوا فقط إنه ما دام اللقب يسرّني والمنصب يعجبني فلأفعل ما يحلو لي ... وما دام كلٌ هذا لن يُكلّفهم شيئًا، ولن يقتضيهم إطعامي، فلا مانع عندهم أن أُسمّي نفسي ما أشاء من الأسماء ... وتركوني وذهب كلٌ منهم إلى حال سبيله، يسعى إلى رزقه.

الملكة: وأنا كيف أصبحت ملكة؟

الملك: بالمنطق الطبيعي، ما دمتُ أنا ملكًا فأنت أنثاي التي أحببتها وعاشرتها ... لا بد أن تكوني ملكة.

الملكة: ووزيرك ... كيف أصبح وزيرًا؟

الملك: موهبته رشّحته للوزارة ... كما رشّحتني موهبتي للعرش.

الملكة: موهبتك عرفناها، وهي طول شواربك ... فما هي موهبة وزيرك؟

الملك: اهتمامه البالغ بعرض المشكلات المربكة، والمجيء بالأخبار المزعجة.

الملكة: والكاهن ... ما موهبته؟

الملك: كلامه الذي لا أفهم له معنًى.

الملكة: والعالم العلّامة؟

الملك: معلوماته الغريبة عن أشياء لا وجود لها إلّا في رأسه.

الملكة: وما الذي أغراك باحتمال هؤلاء؟

الملك: الضرورة ... لم أجد غيرهم يريد الاقتراب مني ... هم في حاجة إلى واحد يُفضُون إليه بسخافاتهم ... وأنا في حاجة إلى مُقرّبين ينادونني بصاحب الجلالة.

الملكة: كل هذا جرّه عليك طول شواربك!

الملك: وهل أنا المسئول؟! إني وُلِدت بها هكذا.

الملكة: ربما كان هناك من هو أطول منك في الشوارب، ومع ذلك لم يفكر في أن يكون ملكًا.

الملك: جائز جداً ... ولكني أنا فكرت ...

الملكة: فكرة حمقاء على كل حال.

الملك: مَن أدراكِ؟! أنت لا تفهمين شيئًا.

الملكة: أنا أفهم أكثر منك.

الملك: أنت صرصارة مغرورة ثرثارة!

الملكة: وأنت صرصار.

الملك: هس ... بس ... الوزير قادم!

الملكة: احترم نفسك إذن أمامه، وعاملني باحترام!

الملك: سمعًا وطاعة يا صاحبة الجلالة!

الملكة: نعم، هكذا! ... الأزواج أمثالك لا يخضعون إلا لمن تتمسّك بحقوقها.

(الوزير يظهر وهو يولول.)

الوزير: يا مولاي الملك! ... النجدة يا مولاي الملك!

الملك: ما الخبر؟

الوزير: كارثة! ... كارثة كبرى يا مولاي!

الملك: يا فتاح يا عليم! ... قلت لك إن هوايته المجيء بالأخبار المزعجة ... نعم؟ ... أخبرنا ... شنِّف أسماعناَ!

الوزير: ابني يا مولاي ... ولدِي الوحيد.

الملك: ما له؟

الوزير: ذهب مُبكيًا على شبابه! ... مات وهو في ربيع العمر وريعان الصبا ... قُتِل ... قُتِلَ!

الملك: قُتِل؟ كيف؟ ومن القاتل؟

الوزير: النمل.

الملك: النمل أيضًا؟

الملكة: أرأيت؟! النمل، النمل!

الوزير: نعم يا مولاتي ... النمل ... ولا شيء غير النمل.

الملك: آه من النمل! أخبرنا ماذا حدث؟

الوزير: حدث الذي يحدث دائمًا.

الملك: ادخل في الموضوع!

الوزير: كان ابني يسير فوق الحائط لمجرد النزهة والترويح عن النفس شأن من في سنه ... كانت نزهة بريئة بالطبع؛ لأني أعرف أخلاق ابني جيداً ... إنه في منتهى الجد، لا يميل إلى المغازلات ولا إلى المغامرات ... كل هذه الأنواع من اللهو الفارغ ...

الملك: ما علينا ... ماذا حدث؟

الوزير: زلّت قدمه ووقع على الأرض ... وقع على ظهره طبعًا، ولم يستطع أن يتقلّب على وجهه وينهض على أقدامه ... وعندئذٍ لمحه النمل، وجاء بجماعاته وجيوشه، وأحاط به وكتم أنفاسه، وحمله وسارً به إلى مدنه وقراه.

الملكة: هذا شيء مرعب! إنها حقًا كارثة!

الوزير: كارثة عظمى يا مولاتي ... كارثة قومية!

الملك: إني أشاطرك الأحزان في فقيدك ... ولكن لا تطلب مني أن أعلن الحداد العام.

الوزير: أنا لم أطلب إعلان الحداد يا مولاي.

الملك: هذا منتهى العقل.

الوزير: إني فقط أعلن أنها كارثة لبني جنسنا كله.

الملك: جنسنا كله؟! موت ابنك؟!

الوزير: بل عدوان النمل علينا جميعًا بهذه الطريقة.

الملكة (للوزير): هو فاهم قصدك جيدًا ولكنه يتجاهل ويجعلها مسألة شخصية حتى لا يشغل نفسه بالحل الحاسم الذي ينتظره منه الجميع.

الملك: ماذا تقولين؟! تريدين اتهامي بالتفريط في واجبات منصبي؟!

الملكة: أنا لا أتهمك ... أنا فقط أُنبِّهك إلى ضرورة إيجاد حل لمشكلة النمل.

الملك: وهل مشكلة النمل مشكلة جديدة؟ ... تكلم يا وزيري.

الوزير: لا يا مولاي.

الملك: تعرف إذن أنها ليست جديدة، وأنها قديمة قِدَم الأزل.

الوزير: فعلًا يا مولاي.

الملك: نشأنا ونشأ آباؤنا وأجدادنا وأجداد أجدادنا وهي موجودة.

الوزير: حقًا يا مولاي.

الملك: ما دمت تعرف كل ذلك، لماذا إذن أُكلّف أنا اليوم بحلها؟! لماذا يشاء حظي الأسود أن أُطالَب أنا دون كلِّ مَن كان قبلي من الآباء والأجداد بمهمة البحث وحدي عن الحل؟!

الملكة: لأنه لم يوجد قبلك من أُعجِب بطول شواربه وطالب بأن يكون ملكًا!

الملك: اسكتي يا ...

الملكة: احفظ لسانك!

الملك (من بين أسنانه): يا ... صاحبة الجلالة!

الملكة: نعم ... هكذا الكلام معي يكون بكل أدب.

الملك: وبكل أدب، أحب أن أسألك كيف عرفت أنه لم يوجد قبلي صرصار أراد أن يكون ملكًا؟!

الملكة: لأن هذا نوع من الأفكار لا يخطر إلا لمثلك.

الملك: لمثلي؟!

الملكة: نعم ... لأنك زوجي، وأنا أعرفك جيداً.

الملك: لاحظي من فضلك أننا الآن لسنا وحدنا ... ثم إني أباشر عملي الرسمي.

الملكة: تفضل باشر عملك الرسمي!

الملك: تكلّم أيها الوزير.

الوزير: قبلك يا مولاي كنا في عصر الهمجية والبدائية ... ليس عندنا ملك ولا وزير ... فجئت أنت لتعتلي العرش بحسن تدبيرك وسلامة تفكيرك.

الملك: عندي إذن حسن تدبير وسلامة تفكير؟

الوزير: بدون شك يا مولاي.

الملك: قل هذا لجلالة الملكة!

الملكة: جلالة الملكة يهمها النتائج العملية قبل كل شيء ... أريد أن أرى ثمرة لهذا التفكير والتدبير ... تفضّلوا هاتوا الحل لمشكلة النمل!

الملك: تفضّل أيها الوزير ... اقترح!

الوزير: الرأي رأيك يا مولاي.

الملك: نعم ... ولكن عليك أنت أولًا أن تعرض رأيًا، وليكن سخيفًا ... وأنا أنظر فيه.

الوزير: أعرض رأيًا؟

الملك: نعم ... أي رأي ... تكلم ... بسرعة ... هذا من واجبات منصبك أن تعرض الرأي ... وأنا أُسخِّفه.

الملكة: ربما جاء رأيه سليمًا.

الملك: لا أظن ... أنا أعرف آراءه.

الملكة: ولماذا إذن عيّنته وزيرًا؟

الملك: لم أُعيِّنه ... قلت لكِ ذلك ألف مرة ... لم أُعيِّن أحدًا ... هو الذي عيّن نفسه ... وأنا قبلت ... لأنه لم يكن له منافس.

الوزير: أنا متطوع بدون مرتب.

الملك: تكلّم في الجد أيها الوزير، ولا تُضيِّع وقت الدولة!

الوزير: وجدت الفكرة ... أعتقد يا مولاي أننا نستطيع أن نقضي على النمل بنفس سلاحه.

الملك: وما هو سلاحه؟

الوزير: الجيوش ... إنه يهاجمنا بجيوشه الجرارة؛ فإذا استطعنا نحن أيضًا أن نجتمع ونحتشد في عدد كبير، سهل علينا الهجوم عليه وتفريقه وسحقه سحقًا بأقدامنا الضخمة.

الملك: فكرة سخيفة.

الملكة: تُسخِّفها قبل أن تناقشها؟!

الملك: واضح جدًا أنها غير مقبولة ولا معقولة.

الملكة: شجِّعه أولًا على الكلام وناقشه فيها.

الملك: شجّعتك وأناقشك ... تكلّم ... قل لي كم عدد هذا الجيش من الصراصير الذي تريد حشده؟

الوزير: ليكن عدده عشرين ... إن عشرين صرصاراً مجتمعةً تستطيع دهس وتحطيم طابور طويل من النمل، بل قرية بأكملها ... بل مدينة.

الملك: لا شك في ذلك، لكن ... هل سبق أن حدث في تاريخنا الطويل كله أن اجتمع عشرون صرصاراً في طابور واحد؟

الوزير: لم يحدث ... ولكن نحاول.

الملك: كيف نحاول؟! نحن شيء مختلف عن النمل ... إن النمل يعرف نظام الطوابير ... ولكننا نحن معشر الصراصير لا نعرف النظام.

الوزير: ربما بالتعليم والتدريب.

الملك: ومن الذي يُعلِّم ويُدرِّب؟!

الوزير: نبحث عمّن يتولى ذلك.

الملك: شيء جميل ... انتهينا إلى البحث عن معلم ومدرب! ... ثم قل لي ... إذا وجدنا المعلم والمدرب، فبعد كم من الأجيال يتم تعليم وتدريب جنس الصراصير على السير في الطوابير؟!

الوزير: هذه يا مولاي معلومات لا تدخل في اختصاصي ... أنا فقط أبديت الرأي في خطة العمل ... وعلى غيري أن يتكلّم في التفصيلات.

الملك: غيرك مَن ... على سبيل المثال؟

الوزير: عالِمنا العلّامة مثلًا ... هو الذي يُسأل في هذه المعلومات.

الملكة: له حق ... هذه الأشياء يتحدث فيها العالِم العلّامة.

الملك: وأين هو العالِم العلّامة؟

الوزير: نطلبه في الحال يا مولاي.

الملك: اطلبه وأحضِره ... نحن في الانتظار.

(ما يكاد الوزير يتحرّك، حتى يظهر العالِم العلّامة وهو يلهث.)

الوزير (للعالِم): ابن حلال! ... كنا في طلبك الآن ... مولانا الملك يريدك في أمر هام.

العالم: خير!

الوزير: سيقول لك مولانا الملك.

الملك: بل قل له أنت.

الوزير: هل أعرض عليه كل الموضوع؟

الملك: نعم ... وبسرعة.

الوزير: الموضوع هو مشكلة النمل.

العالم: ما لها مشكلة النمل؟

الوزير: نريد لها حلًا حاسمًا.

العالم: وما دخلي أنا في ذلك؟! هذه مشكلة سياسية حلُّها عندكم أنتم ... أنت بصفتك وزيرًا ... ومولانا بصفته ملكًا.

الوزير: مشكلة سياسية؟!

العالم: إنها على كل حال مشكلة قديمة ... لا تدخل في نطاق العلم ولا العلماء.

الملك: ولكن الوزير قَلَبَها مشكلة علمية؛ لأنه يريد تعليم الصراصير السير في الطوابير.

العالم: هذا لا يمكن أبدًا.

الوزير: ولكنه يجب أن يكون ... لأننا لا يمكن أن نستمر هكذا إلى الأبد؛ نتلقى هجمات النمل ولا نستطيع له دفعًا.

الملكة: الوزير على حق ... يجب التفكير في هذا الخطر جديًا.

العالم: وما هو المطلوب مني أنا بالذات؟

الملكة: المعاونة بعلمك ... الأمل معقود الآن على العلم.

العالم: حدّدوا لي المطلوب بالضبط. ما هو المطلوب مني على وجه التحديد والدقةَ؟ لا بد في العلم من التحديد الدقيق.

الملكة: حدِّد له أيها الوزير.

الوزير: أنت تعرف أن النمل يهاجمنا بجيوش ... فإذا استطعنا نحن أيضًا أن نحشد له جيشًا من عشرين أو حتى من عشرة صراصير يهجمون عليه معًا، فإننا نستطيع هدم قراه ومدنه.

العالم: احشدوا إذن عشرة صراصير!

الوزير: ومن الذي يحشدهم؟

العالم: أنت ومولانا الملك ... هذه شغلتكم.

الملك: شغلتنا؟!

العالم: طبعًا ... إذا كان الملك لا يستطيع أن يأمر عشرة صراصير بالاجتماع، فما هو إذن سلطان الملك؟!

الملك: يظهر أنك تعيش في غيبوبة أيها العالِم العلّامة!

الوزير: المشكلة هي كيف نجمع هذه الصراصير؟

الملك: قل له ... قل له.

الملكة: أخبرنا أيها العالم ... أسَبَق أن رأيت عشرة صراصير احتشدت في بقعة واحدة؟!

العالم: نعم ... رأيت مرة ... منذ زمن طويل جدًا في مطلع شبابي ... بضعة صراصير اجتمعت ليلًا في مطبخ حول قطعة من الطماطم.

الملكة: الطماطم؟

العالم: نعم.

الملك: فكرة مدهشة مسألة الطماطم هذه!

الوزير: من هنا نبدأ.

الملكة: وتقول إن العلم لا يستطيع حل المشكلة!

العالم: وما دخل العلم هنا؟ ... هذه ليست أكثر من مجرد ملاحظة عادية.

الملك: هذا من تواضُع العلماء ... ولكن الفكرة على كل حال مفيدة ... إذا استطعنا أن نأتي بقطعة طماطم فإنه سيجتمع حولها عدد من الصراصير.

العالم: المشكلة الحقيقية هي كيف نعثر على قطعة الطماطم؟

الملك: وكيف إذن نعثر عليها أحيانًا؟

العالم: بالمصادفة.

الملكة: ومتى تأتي المصادفة؟

العالم: هذا شيء لا يمكن التنبؤ به.

الملك: أنت إذن جئت تحل لنا المشكلة بمشكلة.

الملكة: ابحث لنا عن شيء آخر غير الطماطم.

العالم: أي نوع آخر من الطعام يضعنا في نفس الوضع؛ لأننا نجد الطعام، ولكننا لا نستطيع أن نوجده.

الملكة: أَوَلَا يمكن جمع الصراصير بغير الطعام؟

العالم: لا الصراصير ولا غير الصراصير.

الوزير: صدق ... إن جنس النمل نفسه لا تجتمع جيوشه إلا حول الطعام أو لحمل الطعام، أو لتخزين الطعام.

الملك: إذن وسيلتنا الوحيدة لجمع الصراصير هي الطعام.

العالم: هذا صحيح ... من الوجهة النظرية.

الملكة: ماذا تعني؟

العالم: أعني يا مولاتي أنه من الوجهة العملية، كل هذا تحصيل حاصل ... لأن اجتماع الصراصير حول الطعام لن يُقدِّم ولن يؤخر ... لأنها ستأكل

وتملأ بطونها، ثم ينصرف كلٌ منها في طريق.

الملك: صحيح، هذا حدثَ ... أذكر بعد تنصيبي ملكًا أن اجتمع عدة صراصير بالمصادفة على قطعة سكر عثرنا عليها ... كان هذا من يُمن الطالع، وقد انتهزت فرصة هذا الاجتماع لألقي خطبة العرش، فقمت في الجماعة خطيبًا ... وكانوا قد أكلوا وشبعوا ... فلم أَكَد ألفظ كلمتَين، حتى وجدت كل واحد منهم قد لعّب شواربه ثم انصرف عني في طريق غير طريق زميله، وتركوني أصيح في الهواء!

الوزير: هذه مصيبتنا!

الملكة: ألا يوجد علاج لهذا أيها العالِم؟

العالم: هذا شيء في الطبع.

الملكة: لا بد له من سبب.

العالم: فكرت في هذا طويلًا، واهتديت إلى سبب ... الواقع أنه قد لوحظ دائمًا وجود ارتباط وثيق بين اجتماع عدة صراصير في مكان، ووقوع كوارث من نوع خاص.

الوزير: تقصد الجبال المتحركة؟

العالم: بالضبط ... والمطر الخانق المبيد.

الملك: هذا صحيح ... بلغني خبر كوارث من هذا القبيل.

العالم: أصبح هذا مؤكدًا اليوم من الوجهة العلمية ... إذا اجتمع عدد من الصراصير في مكان، وكان وهج الضوء ساطعًا، فسرعان ما تتحرك جبال ليس لها قمم ولا رءوس، فتدوس جماعتنا وتسحقها سحقًا ... وفي أحيان أخرى، ينهمر علينا رشاش مطر خانق يُبيدنا عن آخرنا.

الملكة: وما سبب ذلك أيها العالِم؟

العالم: ظواهر طبيعية.

الملك: ولماذا لا تحدث هذه الظواهر الطبيعية إلّا عندما تجتمع عدة صراصير؟!

العالم: لم يتوصل العلم بعدُ إلى تفسير.

الملك: وما هي حقيقة هذه الجبال المتحركة وهذا المطر الخانق المبيد؟

الملكة: وهل هذه الجبال المتحركة وهذا المطر الخانق يقصد إبادتنا؟

العالم: هذه كلها أسئلة لا يمكن الإجابة عنها علميًا.

الملكة: إذن لماذا لا تقع هذه الكوارث إلا كلما تجمّعنا؟

العالم: لا أدري يا مولاتي ... كل ما يستطيعه العلم هو فقط تسجيل هذه الظواهر، وربط العلاقة بينها، واستخلاص قانون علمي.

الملك: تريد إذن أن تقول إن خوفنا من هذه الكوارث جعل جنسنا من قديم الأزل يخشى التجمع؟

العالم: بالضبط ... ومن هنا نشأ فينا هذا الطبع، وهو سير كل واحد منا بمفرده في اتجاه مختلف ... مجرد دفاع غريزي عن الحياة.

الوزير: ولكن النمل عكسنا تمامًا.

العالم: النمل لضآلة حجمه يستطيع أن يفعل ما يشاء ... ولكننا نحن المخلوقات الأكبر لنا وضعنا الخاص.

الوزير: ولكنه يتغلّب علينا بتجمّعه.

العالم: نعم ... مع الأسف الشديد.

الوزير: والحل؟ نريد حلًا أيها العالِم.

الملك: ابن الوزير نهشته جموع النمل وحملته إلى قراها.

العالم: خالص العزاء أيها الوزير!

الوزير: شكرًا ... ولكن ليس هذا كل ما ننتظر منك.

الملك: هذا صحيح ... نحن نريد منك شيئًا أكثر فائدةً من مجرد تعزية الوزير.

الملكة: نريد علاجًا حاسمًا.

العالم: أعطوني مهلة للبحث ... كل شيء عندي يجب أن يقوم على أساس ... الخطوة تتلوها الخطوة ... يجب أن نبدأ أولًا بمعرفة أنفسنا، واكتشاف ما حولنا في هذا الكون الواسع ... أتعرفون مثلًا ما الذي يوجَد خلف هذا الحائط المصقول الذي نقف تحته؟ (يشير إلى جدار حوض البانيو الخارجي.)

الملك: ماذا يوجد خلفه؟

العالم: لقد صعدت إلى أعلاه مرارًا ورأيت العجب.

الجميع: ماذا رأيت؟

العالم: رأيت هوة سحيقة ... أغلب الظن أنها بحيرة كبيرة ... لكن الغريب أنها أحيانًا تخلو من الماء، وأحيانًا تمتلئ بالماء!

الجميع: وكيف يحدث هذا؟

العالم: لا أدرى بعدُ ... ولكني بعد رصد هذه الظاهرة، استطعت أن ألاحظ شيئًا ثابتًا، وهو أن هذه البحيرة تمتلئ بالماء في وهج الضوء، وتخلو من الماء في الظلام.

الملك: وما هي العلاقة بين الضوء والماء؟

العالم: هناك علاقة ما لا ندري سببها بعد ... ولكننا على كل حال أمكننا استخلاص قانون ثابت في معادلة علمية صحيحة في أن الضوء يساوي الماء، والظلام يساوي الجفاف.

الملك: إذن في هذه اللحظة ...

العالم: في هذه اللحظة البحيرة جافة ومنظرها جميل جدًا ... وجدرانها ملساء بيضاء بياضًا ناصعًا ... كأنها مفروشة بأزهار الياسمين.

الملكة: بودِّي أن أشاهدها.

العالم: بكل سرور ... إن أذنت يا مولاتي فإني أقودك إلى قمة الحائط، وعندئذٍ تشرفين على الهوة العميقة ومنظرها الرائع.

الملك: وأنا أيضًا أريد مشاهدة ذلك.

العالم: أنا طوع أمركم ... هلموا بنا جميعًا.

الوزير: انتظروا ... الكاهن قادم.

(الكاهن يظهر.)

الملك: تعالَ وانضم إلينا أيها الكاهن المُبجّل!

الكاهن: هذا ما أريد ... فقد مررت الساعة بمنظر محزن!

الملك: منظر محزن؟

الكاهن: نعم ... موكب من النمل يحمل صرصارًا ... والصرصار فيما يبدو ميت لا حراك به ... ونملة في المقدمة تسحبه من شاربه بينما في المؤخرة جماعة منها تدفعه، فما وسعني إلا أن ترحّمت عليه!

الملكة: ألا تعرف من هذا؟

الكاهن: لا.

الملكة: هذا ابن الوزير.

الكاهن (ملتفتًا إلى الوزير): ابنك؟

الوزير (مطرقًا حزينًا): نعم.

الكاهن: فلتمنحك الآلهة الصبر ... سأصلي من أجلك!

الوزير: شكرًا!

الملك: كنا الآن نتناقش فيما ينبغي أن نفعل إزاء هذه الكوارث؛ فقد آن الأوان أن نبحث عن علاج ... هل عندك اقتراح أيها الكاهن؟

الكاهن: ليس عندي غير شيء واحد.

الملك: إياك أن تقول تقديم القرابين!

الكاهن: لا يوجد غيره.

الوزير: أرأيت يا مولاي؟! ها نحن قد دخلنا في إشكال آخر: البحث عن القرابين ... وقد نعثر عليها وقد لا نعثر ... ثم من الذي يبحث عنها ويأتي بها؟ أنا شخصيًا غير مستعد ... حالتي النفسية لا تسمح!

العالم: وأنا أيضًا غير مستعد؛ لأني أنا طبعًا غير مؤمن بهذه الوسائل!

الكاهن: الإلحاد كثير في هذه المملكة!

الملكة: لا تقل ذلك أيها الكاهن! ... أنت تعلم جيدًا أني مؤمنة أشد الإيمان.

الملك: نعم، نحن مؤمنون ... ولكن مسألة القرابين هذه أصبحت متعبة ... وقديمة بعض الشيء، وقد سبق أن قدّمنا لك مرة بعض القرابين التي طلبتها ولم يظهر لها أية نتيجة.

الكاهن: النتيجة ليست في يدي ... أنا أُقدِّم القرابين ... والآلهة حرة تقبلها أو ترفضها.

العالم: آلهتك ترفض دائمًا هذه القرابين، ولا يقبلها غير النمل.

الوزير: حقًا ... لاحظنا أن قطعة السكر التي كنت طلبتها قربانًا ... النمل هو الذي أكلها.

الملك: اسمع أيها الكاهن، أطلب من الآلهة أن تساعدنا بدون أن تكلفنا شيئًا.

الكاهن: تريدون منها أن تخدمكم بالمجان؟!

الوزير: ولِمَ لا ... أليس ملكنا يقوم بمهام وظيفته بالمجان؟!

الملكة: وأنا نفسي ... الملكة ... ما من أحد أعطاني شيئًا حتى ولا زوجي العزيز ... أنا أسعى لرزقي مثله سواء بسواء.

العالم: ولا أنا طبعًا ... ما من أحد قرّر لي مرتبًا أو أجرًا.

الوزير: ولا أنا كذلك ... أنا وزير المملكة ... كل أعمال منصبي بدون أجر.

الملك: لماذا إذن تطالب أنت لآلهتك بأجور؟!

الكاهن: لن أطالب بشيء.

الملك: بالعكس يجب أن تطالبها بأن تساعدنا ... ولكن بشرط أن تكون المساعدة لله في لله!

الكاهن: لا أستطيع أن أضع للآلهة شروطًا.

العالم: وهل هي التي اشترطت عليك الأجر، أو أنت المتبرع لها بذلك؟

الكاهن: ليس هناك اشتراط ولا تبرّع ... لكن مَن يطلب مِن أحد شيئًا عليه أن يعمل على إغرائه.

العالم: هي إذن مسألة إغراء.

الكاهن: صِفْها كما تشاء، ولكني أنا لا أستطيع التوسّل إلى الآلهة وأنا صفر اليدين.

العالم: وهل أنت واثق أن الآلهة تهتم بما في يدَيك؟

الكاهن: ما هذا السؤال؟

العالم: هل سبق للآلهة أن استمعت إليك؟

الكاهن: طبعًا.

العالم: متى كان ذلك؟

الكاهن: ذات مرة ... كنت في ركن مريضًا ... فرأيت جيوش النمل مُقبلةً ... وأيقنت بالهلاك ... فدعوت الآلهة ... بصلاة خرجت من أعماق قلبي، وعندئذٍ رأيت فجأةً شيئًا كأنه سحابة كبيرة داكنة اللون مبتلة بماء

غزير قد هبطت من السماء وانقضّت على جيوش النمل فجرَفتها جرفًا، ومسحت بها وجه الأرض مسحًا.

الملكة: يا للعجب!

العالم: هذه السحابة تركيبها العلمي معروف ... إنها شبكة من خيوط كثيرة في خرقة كبيرة مبتلة من الخيش.

الملك: لا يهم أصل السحابة، ولا تركيبها العلمي ... المهم مَن الذي أنزلها ومسح بها النمل؟!

الكاهن: قل له أيها الملك ... اسأله ... مَن الذي أنزلها من السماء، وأباد بها جيوش النمل؟ من؟ من؟

العالم: هذا سؤال لا يجيب عنه العلم ... ولكن الذي أشك فيه هو وجود أي علاقة بين صلاة هذا الكاهن وبين نزول هذه السحابة.

الكاهن: وكيف إذن لم تهبط السحابة إلا بعد صلاتي؟

العالم: محض مصادفة.

الكاهن: يا للكفر! يا للإلحاد!

الملكة: أنا ضد الكفر والإلحاد ... وأنت يا زوجي الملك، يجب أن تكون مثلي في هذا.

الملك: بالطبع أنا مثلك في هذا. اسمع أيها الكاهن الجليل ... أنا مصدقك، ويجب أن أُصدّق أن صلاتك كانت مفيدة، وعلى ذلك، ما دامت صلاتك قد نفعت ونجحتَ مرة، فلا بد أن تنفع وتنجح مرة أخرى؛ ولذلك أرجوك أن تصلي وأن تداوم على الصلاة.

الوزير: خصوصًا وأن الصلاة وحدها مجانًا بدون قرابين قد نجحت.

الملكة: لأنها، كما قال، كانت صادرة من أعماق قلبه.

الكاهن: نعم ... وهو كذلك ... سأصلي.

الملكة (صائحةً): انظروا! انظروا!

(يظهر موكب النمل يحمل صرصاراً.)

النمل (مُنشداً):

هاكم الوليمة العظيمة
نحملها جميعنا جميعنا
إلى قرانا ومدننا
صرصار ضخم جليل
زاد الشتاء الطويل
نملأ به المخازن
لن يعرف أحدنا الجوع
لأن كلنا سواعد
أعضاء جسم واحد
ليس فينا حزين
وليس فينا وحيد
وليس فينا من يقول
لا شأن لي بالآخرين!

(يتجه النمل بحمله الثقيل نحو حائط، بينما الصراصير ناظرة إليه في صمت وذهول ووجوم.)

الملك: يؤسفنا أيها الوزير أن ترى ابنك محمولاً هكذا على الأعناق!

الكاهن: الرحمة له! الرحمة له!

الملك: إنها على كل حال جنازة مهيبة!

العالم: إنها تبدو كذلك ... وإن كان المنطق يقضي بأن تكون غير ذلك ... فهي بالنسبة إلى النمل طعام ... أي خير عميم ... وحمل الخير والطعام لا بد أن يكون مصحوباً بمظاهر فرح وهتاف وغناء.

الملك: ولكننا لا نسمع شيئاً ... إنها جماعات تسير في صمت مطبق.

العالم: فعلًا ... نحن لا نسمع لها صوتًا؛ لأنها مخلوقات ضئيلة ... ولكن من يدري؟ ربما كانت لها أصوات مُدوِّية.

الملك: وربما كانت لها لغة.

العالم: وربما كانت تغني.

الملك: طبعًا ... بالنسبة إليها، هذا أنسب ظرف لفرحها وغنائها!

الملكة: أرجوكم، أرجوكم! ... لا تثيروا أشجان والد حزين بمثل هذا الكلام! ... إما أن نفعل شيئًا من أجله أو نسكت.

الملك: معذرةً يا وزيري! ... هذا مجرد كلام عام في أحوال النمل ... ولكن كما تقول الملكة لا بد من فعل شيء، وهذا هو ما يشغلنا كما تعلم منذ اجتماعنا اليوم.

الملكة: هذا الاجتماع الذي لم يسفر عن شيء مفيد حتى الآن!

الملك: يا عزيزتي، يا عزيزتي! يا صاحبة الجلالة! نحن لم نَزَل في مرحلة التباحث وتبادل وجهات النظر.

الملكة: أي تباحث وأي وجهات نظر؟! ها هو ذا النمل أمامكم يحمل ابن الوزير طعامًا شهيًا هنيًا! ... هل من الصعب عليكم وأنتم أربعة ذكور أشداء أن تهجموا عليه وتسحقوه وتنقذوا من بين أيديه ابن الوزير؟!

الملك: نحن أربعة؟! أين هو الرابع؟!

الملكة: أنت طبعًا.

الملك: آه ... حقًا، لكن أنا ... أخرجوني أنا من الموضوع؛ لأني أنا الملك ... والملك يحكم ولا يقاتل.

الكاهن: وأنا أيضًا أخرجوني من الموضوع؛ لأني أنا الكاهن ... والكاهن يصلي ولا يحارب.

العالم: وأنا بطبيعة الحال كذلك ... لا بد أن تخرجوني من الموضوع؛ لأني أنا العالِم ... والعالِم يبحث ولا يشاغب.

الملكة: إذن أذهب أنا ... أنا الملكة ولن أقول إني الملكة ... بل أنا مجرد أنثى ... قفوا أنتم أيها الذكور مكتوفي الأيدي وتفرّجوا ... ولتذهب الأنثى إلى الجهاد!

الملك: والوزير ... أليس ذكراً مثلنا؟! ما باله ساكتًا والأمر يخصه؟!

الوزير: لا أريد أن أضعكم في هذه المآزق من أجل ابني.

الملكة: المسألة، كما قلنا، لم تَعُد مسألة ابنك.

الوزير: إني شاكر يا مولاتي ... لكن ...

الملكة: المسألة أكبر من أن تكون مسألة شخصية ... وهم جميعًا يعرفون ذلك ... هؤلاء الأفاضل أكابر المملكة ... ولكنهم لا يريدون ... ويتجاهلون؛ لأنهم ضِعاف الهمة ... تنقصهم الإرادة والعزيمة.

الملك: يا عزيزتي صاحبة الجلالة ...

الملكة: اسكت أيها الضعيف المتخاذل! ... اترك لي أنا زمام الأمر.

الملك: تريدين أن أتنازل لك عن العرش؟

الملكة: لا يا سيدي ... عرشك هذا لا يهمني، ولا يغريني ... إنما أريد فقط أن تتركني أعمل.

الملك: لا تتهوّري يا عزيزتي ... إنك لن تعملي شيئًا ... إنك تريدين أن تهاجمي وتحاربي وتقاتلي مثل النمل ... وهذا ما لا يمكن أن يحدث.

الملكة: ولِمَ لا؟

الملك: اسألي العالِم الفاضل! ... عنده الجواب.

الملكة: تكلّم أيها العالِم الفاضل!

الملك: تكلّم وأخبرها لماذا يعرف النمل طرق الحرب ونحن لا؟ قل لها واشرح لها!

العالم: أولًا ... عند النمل وزير حربية.

الملكة: وزير حربية؟!

العالم: طبعًا وزير متخصص في شئون تنظم الجيوش ... وهل يُعقَل أن تسير كل هذه الجماعات الضخمة بهذا الترتيب والنظام في صفوف متراصّة بدون أن يكون وراءها مسئول متخصص في تنظيمها؟!

الملكة: المسألة بسيطة ... لماذا لا يكون عندنا نحن أيضًا وزير حربية متخصص؟

العالم: هذا موضوع سياسي ... وأنا لا أفهم في السياسة ... اسألي جلالة الملك في ذلك!

الملكة: تفضّل أَجِب يا جلالة الملك!

الملك: ما هو السؤال؟

الملكة: لماذا لم تُعيِّن وزير حربية متخصصًا؟

الملك: وزير حربية متخصص؟! وهل هذا في يدي؟ أين هو؟ أين أجده وأنا أُعيّنه فيِ الحال؟ لقد تعبنا حتى عثرنا على وزير واحد هو صاحبنا هذا ... تفضّل وقبِل أن يكون وزيرًا عموميًا، يقوم بكل شيء، ولا يفهم في شيء.

الوزير: إذا لم أكن محل ثقة فأنا مستعد لتقديم استقالتي.

الملك: استقالتك؟! سمعتم؟! ها هو ذا أيضًا الوزير الوحيد يُهدِّد بالاستقالة!

الملكة: لا أيها الوزير المحترم ... أنت محل ثقة الجميع ... ولا تستمع إلى كلام الملك؛ فهو أحيانًا يهرف بألفاظ نابية.

الوزير: شكرًا لمولاتي الملكة!

الملك: الملكة المهذبة!

الملكة: إذن أيها العالِم الجليل، كل الفرق هو أن عند النمل وزير حربية متخصصًا؟

العالم: ليس هذا فقط كل ما عندهم.

الملكة: ماذا عندهم أيضًا؟

العالم: وزير تموين بارع.

الملكة: وزير تموين؟!

العالم: بارع ... لأن عملية تخزين الطعام في مخازن على هذا المستوى الضخم لا يمكن إلا أن يكون وراءها تخطيط اقتصادي مدهش.

الملك: نحن لسنا في حاجة إلى تموين، ولا إلى وزير تموين؛ لأنه لا توجد عندنا أزمة طعام ... ولا حاجة لدينا إلى تخطيط وتخزين.

العالم: فعلًا إن اقتصادياتنا تسير بالبركة ... وهذا من مفاخرنا!

الملكة: من مفاخرنا؟!

الملك: طبعًا يا عزيزتي طبعًا! ... إن لدينا مفاخر لا يستهان بها.

العالم: تأكيدًا لرأي جلالتك، أقول إن عندنا ميزة ليست عند النمل؛ هي تحديد النسل ... إن النمل يترك أعداده تتزايد تزايدًا هائلًا يدفعها إلى أزمة الطعام وتخزين الطعام ... والحاجة إلى الطعام تؤدي إلى الحرب.

الملك: فعلًا ... نحن لسنا في حاجة إلى طعام، ولا إلى تخزين طعام، ولا إلى حرب.

العالم: ولذلك نحن مخلوقات راقية.

الملك: بدون شك ... نحن لم نهاجم مخلوقًا حيًا ... ولم نؤذِ أحدًا ولم نعرف الجشع، ولا التكالب على تخزين شيء.

الملكة: ألا توجد مخلوقات أرقى منا؟!

العالم: لا، نحن أرقى المخلوقات على الأرض.

الملكة: هذا صحيح، ومع ذلك نحن نقاسي كثيرًا من تلك المخلوقات الأخرى المنحطة.

العالم: الانحطاط دائماً سبب المتاعب، ولكن علينا بالصبر ... ليس في استطاعتنا أن نجعل المخلوقات الأدنى مثلنا في التمدّن ... كلٌ له طبيعته وبيئته وظروفه ... إن النمل مثلًا كل ما يهمه هو الطعام. أما نحن فيهمنا فوق ذلك المعرفة.

الملكة: المعرفة؟!

العالم: بالطبع ... إن هذه الشوارب الطويلة التي لنا لا نستخدمها فقط في لمس الطعام، بل أحيانًا كثيرة نلمس بها أشياء لا تُؤكَل ... لمجرد تحسّس طبيعتها واكتشاف حقيقتها ... ألم يحدث لكِ ذلك مراراً يا صاحبة الجلالة؟

الملكة: فعلًا، فعلًا ... يهمني كثيراً أن ألمس بشواربي المواد الغريبة؛ لا لرغبتي في الأكل؛ بل لمجرد حب الاستطلاع.

العالم: نعم، حب الاستطلاع ... حب المعرفة ... إرادة المعرفة.

الملك: وتقولين يا عزيزتي الملكة إننا ضعاف الإرادة؟! نحن أصلب مخلوقات الأرض عوداً ... أليس كذلك أيها العالِم الجليل؟

العالم: بالتأكيد يا مولاي.

الملك: هل النمل أقوى منا؟ مستحيل ... إنه لا يعرفنا ... إنه يعرف فقط كيف يأكلنا، ولكنه لا يعرف من نحن ... من نكون؟ هل النمل يعرفنا؟

العالم: لا طبعًا.

الملك: هل عنده أدنى فكرة عن حقيقتنا ... عن طبيعتنا؟ هل يدرك أننا مخلوقات مفكرة؟

العالم: كل معلوماته عنا هي أننا طعام له.

الملك: ولهذا هو بالنسبة إلينا مخلوق دنيء.

الملكة: هذا لا يمنع من أنه يأكلنا ... ويجب أن نجد طريقة ندرأ بها ضرره.

الملك: الطريقة الوحيدة هي ألّا تستلقي على ظهرك!

الملكة: هذا عندك إذن هو كل الحل!

الملك: عندنا جميعًا.

الملكة: بالاختصار، انتهينا من حيث بدأنا ... أي إلى صفر ... صفر ... صفر! ... واجتماعنا ومناقشاتنا وأبحاثنا كلها صفر في صفر في صفر.

العالم: لا يوجد صفر في الأبحاث ... كل بحث مفيد ... وشواربنا عندما تلمس الأشياء تعود بفائدة، حتى وإن لم تدرك تمامًا حقيقة هذه الأشياء ... وبالمناسبة، كنت قلت من لحظات إني عائد من اكتشاف مهم جدًا ... ولم أجد منكم أذنًا صاغية.

الملك: آه، نعم ... خُيِّل إليّ أني سمعت منك هذا الخبر ... ما هو هذا الاكتشاف؟ تكلّم ... أذني صاغية.

العالم: هذه البحيرة.

الملك: أي بحيرة؟! آه، نعم ... حقًا ... كنتَ تُحدِّثنا عن بحيرة، وأردت أن تأخذنا أنا والملكة لنشاهدها.

العالم: وكنا بالفعل على وشك الذهاب ... لولا مجيء الكاهن.

الملك: نعم، نعم حقًا ... إذن هلم بنا ... اذهب بنا الآن ... إن هذا على الأقل شيء أفيد من الكلام في موضوعات خرافية ومشروعات وهمية! ... تفضلي يا عزيزتي صاحبة الجلالة.

الملكة: أنا لن أذهب معكم ... سأبقى هنا ... وسيبقى معي الوزير. إنه بالطبع ليس في حالة نفسية تسمح له بالمشاهدة والفرجة.

الملك: كما تريدان ... وأنت أيها الكاهن المبجل، هل تأتي معنا؟

الكاهن: أنا لا شأن لي بمثل هذه الاكتشافات.

الملك: هيا بنا نحن إذن أيها العالِم!

(يذهب الملك والعالم ... وتبقى الملكة والوزير والكاهن.)

الملكة: إني حزينة لمصابك أيها الوزير ... ولكني أيضاً حزينة وآسفة لموقف زوجي المخجل!

الوزير: لا تلومي زوجك يا مولاتي ... إن زوجك الملك ليس في مقدوره شيء.

الملكة: كان في مقدوره على الأقل أن يكون جاداً حاسماً ... أن يكون في مستوى الموقف.

الوزير: الموقف صعب.

الملكة: فعلاً ... ويحتاج في مواجهته إلى شخصية قوية ... ولكن زوجي مع الأسف ضعيف الشخصية ... ألا تلاحظ ذلك؟!

الوزير: البركة فيكِ أنت يا مولاتي.

الملكة: لولاي إلى جانبه، ماذا كان يفعل؟! ... إنه في أعماقه يشعر بذلك ... أني أقوى منه شخصيةً ... ولكنه يحاول دائماً خداع نفسه والتظاهر بالتفوق.

الوزير: كلٌ له طباعه وأخلاقه ... إنه على كل حال طيب القلب.

الملكة: لست أنكر ذلك ... هو طيب حقّاً، لكن ...

الكاهن: لكن سيره خلف هذا العالِم الزنديق، واستماعه إلى تُرّهاته ليس مما يُبشِّر بخير.

الوزير: إنه أيضاً يستمع إليك كثيراً أيها الكاهن المبجل.

الكاهن: كما يستمع إليك أنت كذلك أيها الوزير الهمام.

الوزير: إنه يستمع إلى الجميع ... وإلى كل شيء ... من الإنصاف أن نقول إنه متفتح الذهن.

الملكة: إنك تدافع عنه برغم كل شيء؛ لأنك بدونه تصبح عاطلاً!

الوزير: أنا يا مولاتي؟!

الملكة: نعم أنت ... وأنت بالذات؛ لأن الكاهن له ما يشغله، والعالِم له ما يشغله ... أما أنت الوزير فلا شغل لك بغير الملك.

الوزير: وأنت يا مولاتي؟ ... أنت الملكة ... والملكة ...

الملكة: مفهوم ... لا شغل لها كذلك بغير الملك! ... أعرف.

الوزير: عفواً إني ...

الملكة: لا تعتذر ... وضعي مثل وضعك ... أعرف ذلك، لكن الفرق هو أني أنثى، وأنه هو يريد دائماً أن يُذكِّرني بأنه ذكر ... وأنه أطول مني شوارب.

(يظهر صرصار وهو يغني.)

الصرصار (منشداً):

يا ليل يا عين
فيك نغمض العين
على العزيز واللعين
يا ليل يا عين
فيك نرقد بعين
ونرقب بعين
مطلع الفجر المبين
يا ليل يا عين

الملكة: من هذا الذي يغني؟

الوزير (ينظر): هذا صرصار من الرعية.

الملكة: من الرعية؟! يغني ونحن نفكر ... نفكر له من الصبح في مشكلته! ... أحضِره هنا.

الوزير (صائحاً به): تعالَ هنا يا هذا.

الصرصار (مقترباً): نعم.

الوزير: من أنت؟

الصرصار: واحد ... يغني ويسعى إلى رزقه.

الوزير: تغني ونحن نفكر لك؟!

الصرصار: ومن طلب منك أن تفكر لي ... أنا أفكر لنفسي.

الوزير: أنا الوزير.

الصرصار (ساخرًا): تشرفنا!

الوزير: نحن نفكر في مشكلة خطيرة تهدد حياتك هي مشكلة النمل ... وقد جئت الآن في الوقت المناسب ... ونريد منك ومن غيرك التعاون معنا ... ما رأيك؟

الصرصار: رأيي أن تتركني في حالي. (يدير له ظهره وينصرف وهو يغني.)

يا ليل يا عين
فيك نغمض العين ...

الوزير (للملكة): لا فائدة!

الملكة: حقًا ... لا فائدة.

(العالِم يُطِلُّ برأسه من أعلى الجدار الخارجي لحوض البانيو.)

العالم (صائحًا من أعلى الجدار): النجدة! ... النجدة!

الملكة: ماذا حدث؟

العالم: الملك.

الملكة (في لهفة): ماذا حدث للملك؟

العالم: زلّت قدمه ... سقط في البحيرة!

الملكة: سقط في البحيرة؟! وا مصيبتاه!

الوزير: الملك مات؟

العالم: لم يَمُت بعد ... البحيرة جافة لا ماء فيها ... ولكن جدرانها ملساء ... وهو في قاعها يحاول الخروج.

الملكة: فلنساعده على الخروج ... ساعدوه ساعدوه ... أنقذوه ... أنقذوا زوجي بحق السماء!

العالم: (صائحًا)ابقوا حيث أنتم ... لا سبيل إلى إنقاذه ... لا يمكن الهبوط إليه.

الملكة: لا بد أن نصنع من أجله شيئًا ... هلموا بنا جميعًا.

العالم: لا تتحركوا! ... الجدران على حافة البحيرة ملساء ... وقد تزلُّ أقدامكم أنتم أيضًا وتسقطون.

الملكة: لا بد من إنقاذ زوجي! ... أنقذوا زوجي ... أرجوكم أنقذوه!

الوزير: نعم ... لا بد من إنقاذ الملك!

العالم: لا أحد يستطيع ... إنه في أعماق الهوة ... والجدران ملساء تنزلق عليها الأقدام ... لن ينقذه أحد إلا نفسه ... إلا مجهوده هو ... أو معجزة من السماء!

الكاهن: معجزة من السماء؟! الآن تتكلم عن معجزة من السماء؟!

الوزير: هذا وقتك أيها الكاهن!

الملكة: نعم، أتوسل إليك أيها الكاهن أن تفعل شيئًا من أجل زوجي ... أتوسل إليك!

الكاهن: ألم يَقُل هذا العالِم إن السماء ليس فيها أحد يسمعنا؟!

العالم: لا تنتهز الفرصة وتسوق الدلال ... كلُّ مَن في مقدوره الآن شيء فليفعله!

الملكة: نعم ... افعل شيئا أيها الكاهن ... أرجوك!

الوزير: هذا واجبك أيها الكاهن ... أنقذ الملك!

الكاهن: ليس في يدي غير الصلاة.

الوزير: إذن نرجوك أن تصلي!

الكاهن: جميعنا يجب أن نصلي ... حتى هذا العالِم يجب أن يُصلِّي معنا ... ولكنه لن يقبل.

الملكة: سيقبل ... سيقبل من أجل خاطرنا ... من أجل زوجي.

العالم: سأقبل ... حتى أُبطِل حجته ... فإذا كان هناك حقًا من يسمع أصواتنا ويفهم لغتنا، ويلتفت إلى توسلاتنا كان بها ... وإلا فنحن لن نخسر شيئًا.

الوزير: ها هو ذا قد قَبِل.

الكاهن: هذا قبول تشوبه الشوائب!

العالم: قلت لكم إنه سيتدلّل ويتعلّل!

الوزير: نرجوك أيها الكاهن ... تساهل!

الملكة: ثق أننا جميعًا معك بقلوبنا الساعة.

الكاهن: ليس جميعكم.

الوزير: دعك منه إذن ... افترض أنه غير موجود ... ألا تكفي أصواتنا نحن الثلاثة؟!

العالم: قلت لكم إني أضم صوتي إلى أصواتكم ... ماذا يريد مني أكثر من ذلك؟!

الكاهن: لا أريد صوتك بيننا ... يكفي صوت واحد متشكك ليفسد بقية الأصوات.

العالم: وما شأنك أنت بصوتي؟! أهو لك أم للسماء؟! اترك الأمر للسماء هي التي تسمع أو لا تسمع ... وتقبل مني أو لا تقبل!

الوزير: هذا كلام معقول.

الملكة: حقًا ... دع أمره للسماء أيها الكاهن الجليل، ولا تشغل نفسك به ... من يدري؟! ربما كان مقبولًا ونحن لا ندري.

الكاهن: فليكن!

الملكة: نصلي إذن جميعنا.

الكاهن: صلوا ... ارفعوا أيديكم معي ... أيتها الآلهة!

الجميع (يرفعون أيديهم إلى أعلى صائحين): أيتها الآلهة! أيتها الآلهة!

(ستار)

الفصل الثاني

كفاح الصرصار

(حجرة نوم بها سرير وخزانة ملابس ومقعدان ومنضدة صغيرة فوقها منبه، وأخرى كبيرة بين المقعدين فوقها صحف وكتب ... ولهذه الحجرة باب صغير يُفتَح على حمام به حوض كبير «بانيو» ثم حوض صغير فوقه مرآة ورف موضوع عليه فُرش أسنان وعُلب معاجين ... وبحجرة النوم باب آخر يُفتَح على داخل الشقة ... الحجرة مظلمة قليلًا إلا من ضوء الصباح الذي أخذ يطلع وينتشر ... وعندئذٍ ينهض فجأةً «عادل» ويخرج من السرير محركًا جسمه ببعض التمرينات الرياضية السريعة، وتتنبه زوجته «سامية» فتنهض نصف نهوض في السرير، وتضيء مصباحًا كهربائيًا صغيرًا «أباجور» بجوارها.)

سامية (ملتفتةً إلى زوجها): استيقظت يا عادل؟

عادل: طبعًا.

سامية: هل رن جرس المنبه؟

عادل: لا طبعًا ... قمت من تلقاء نفسي كالعادة.

سامية: عجيب أمر هذا المنبه! ... ألم نضبطه معًا قبل النوم على السادسة؟!

عادل: ضبطناه كالعادة كل ليلة، لكنه ينتظر حتى أستيقظ أنا بنفسي ثم يرن.

(جرس المنبه يرن.)

سامية: ها هو رن!

عادل: قاصدها وحياتك!

سامية: حصل خير ... ما دمت أنت ...

عادل: ما دمت أنا أرن بدلًا منه ... أليس كذلك؟!

سامية: وتستيقظ في الميعاد.

عادل: هذا هو المهم عندك. (يخطو نحو الحمام.)

سامية: إلى أين ذاهب؟

عادل: إلى الحمام طبعًا.

سامية (تقفز من السرير): ابعد من فضلك ... أنا أولًا.

عادل: نعم، كالعادة ... أنا أنهض قبلك ... وأنت التي تدخلين الحمام قبلي!

سامية: هذه هي الأصول!

عادل: أي أصول؟! أنا قمت من النوم قبلك، لا بد أدخل الحمام قبلك ... لن أتهاون في حقوقي بعد اليوم.

سامية: كل يوم تقول ذلك ... أسطوانة سمعتها كثيرًا!

عادل: لأنه حقي! ... حقي يا ناس!

سامية: ابعد ... لا تُضيِّع وقتي ... أنا أدخل قبلك لأن عملي يدعوني.

عادل: عملك؟! وهل أنا عاطل؟! إذا كنت أنت موظفة في شركة، فأنا موظف مثلك في نفس الشركة، وإذا كنتِ مستعجلة، فأنا مستعجل مثلك ... ثم أنا لي ذقن يجب أن أحلقها، وأنت ليسَ لكِ ذقن.

سامية: عندي ما هو أهم من الذقن!

عادل: ما هو هذا الأهم؟!

سامية: التواليت يا أستاذ! ... لا بد لي من الزينة والتواليت، وأنت لا تعمل زينة ولا تواليت!

عادل: وما الداعي إلى الزينة والتواليت وأنت ذاهبة إلى العمل داخل معمل زيوت وأصباغ وكيماويات؟!

سامية: سؤال سخيف!

عادل: جاوبي!

سامية: اسمع! ... لا تضيع الوقت أكثر من ذلك! ... ابتعد عن الحمام من فضلك ودعني أدخل.

عادل: لا، لن تدخلي! ... لن أضعف اليوم، ولن أتهاون في حقوقي ... لن أستسلم بعد اليوم!

سامية: رفعت راية العصيان؟!

عادل: نعم.

سامية: وتقول نعم؟!

عادل: نعم.

سامية: وتُكرِّرها؟

عادل: نعم.

سامية: وتقول نعم؟!

عادل: نعم.

سامية: وتُكرِّرها؟

عادل: نعم.

سامية: أُنذِرك ... هذا إنذار!

عادل: ماذا ستفعلين؟!

سامية: ابعد عن طريقي ... ابعد بسرعة!

عادل: لن تمرّي إلا على جسدي!

سامية: كده؟! وهو كذلك! (تُنحّيه بشدة وتدفعه، فيكاد يقع لولا إمساكه بالسرير.)

عادل: الله! الله! أجُننتِ يا سامية؟! تُلقِين بي هكذا على الأرض؟!

سامية: أنت الذي أردت العنف ... كان كل شيء بالذوق أحسن ... إلى اللقاء! (تدخل الحمام.)

عادل (يسرع خلفها فتغلق باب الحمام في وجهه فيدق): افتحي! افتحي! ... هذه ليست معاملة! المسألة إذن مسألة قوة ... تأخذين حقك بالقوة ... أقصد حقي ... حقي أنا ... تأخذين حقي أنا قوةً واقتداراً ... افتحي! افتحي!

سامية (داخل الحمام أمام المرآة تسوي شعرها وتدندن): اسكت من فضلك ... لا تزعجني بهذا الدّق!

عادل: بأيِّ حق تدخلين قبلي؟!

سامية: لقد دخلتُ وانتهى الأمر.

عادل: لكن المسألة مسألة مبدأ.

سامية: مسألة ماذا؟!

عادل: مبدأ ... مبادئ ... ألا تعرفين المبادئ؟!

سامية: لم أقرأ بعد جرائد الصباح.

عادل: ماذا تقولين؟!

سامية: أقول أشغِل نفسك بشيء مفيد لحين فراغي من أخذ حمامي.

عادل: أُشغِل نفسي؟

سامية: نعم ... بأي شيء ... لأني أريد الهدوء ... هدوء.

عادل: هدوء؟! تطلبين مني أنا الهدوء؟!

سامية: اسمع يا عادل ... افتح الراديو!

عادل: أفتح ماذا؟

سامية (وهي تفتح حنفية الحوض الصغير)**:** افتح الحنفية.

عادل: الحنفية؟! أنا أيضًا الذي أفتح لك الحنفية؟ لكن الحنفية عندك!

سامية: قلت لك افتح الراديو!

عادل: الراديو؟

سامية: طبعًا الراديو.

عادل: أنت قلتِ الحنفية!

سامية: حنفية؟! أأنا مجنونة أقول لك ذلك ... قلت لك افتح الراديو ... الراديو ... واضح كلامي؟!

عادل: أنا غلطان ... الحق عليّ ... أنا دائمًا الذي عليّ الحق!

سامية (تُرطِّب فرشة أسنانها بالماء وتتناول علبة المعجون)**:** معجون الأسنان صنفه ردِيء ... مشتروات حضرتك!

عادل (وهو متجه إلى الراديو فوق منضدة)**:** لماذا أنا ضعيف أمامك هكذا؟! ... لكن ... لكن أهو حقًا ضعف؟! ... لا، لا يمكن ... إنه مجرد تدليل ... إني أُدلِّلك؛ لأنك امرأة ... امرأة ضعيفة ... جنس ضعيف! (يفتح الراديو فينطَلق المذيع.)

المذيع (في الراديو)**:** إليكم ملخص نشرة الأخبار: ثار الوطنيون السود على أثر استيلاء المستعمرين البيض بالقوة على ...

عادل (يُخفِّض صوت الراديو)**:** ثاروا!

سامية: قلت لك افتح الراديو.

عادل: الراديو مفتوح.

سامية: ولكني لا أسمع موسيقى ولا أغنية.

عادل: نشرة الأخبار ... نشرة الأخبار ... هل أنا المسئول أيضاً عن برامج الإذاعة؟!

سامية: افتح محطة أخرى يا أخي!

عادل: حاضر! (يفتح محطة أخرى، وعندئذٍ تُسمَع أغنية:

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تُؤخَذ الدنيا غِلابا.)

سامية (في الحمام تدندن الأغنية): ولكن تؤخذ الدنيا ...

عادل: مبسوطة؟

سامية: أغنية جميلة!

عادل: تؤخذ الدنيا غِلابا! (يُخفِّض صوت الراديو.)

سامية: لماذا خفّضت الراديو؟

عادل (بقوة): اسمعي يا سامية ... افتحي ... افتحي ... سأقول لك شيئًا مهمًا.

سامية: لم آخذ حمامي بعد.

عادل: أريد أن أعرف ... أريد تفسيراً سريعًا ... من أنا؟!

سامية: ماذا تقول؟

عادل: أسألك من أنا؟

سامية: ما هذا السؤال؟! أنت عادل طبعًا.

عادل: عادل من؟

سامية: عادل زوجي.

عادل: فقط؟

سامية: ماذا تقصد؟ تريد اللقب والوظيفة وتاريخ الميلاد؟! كل هذا مكتوب عندك في بطاقتك الشخصية!

عادل: عارف ... لا أسأل عن ذلك ... أنا أسأل عن حقيقتي ... أتعرفين ما هي حقيقتي؟!

سامية: لا ... قل لي أنت!

عادل: أنا الدنيا.

سامية: الدنيا؟!

عادل: نعم ... الدنيا التي تُؤخَذ غِلابًا ... تأخذين كل ما هو لي، ولا آخذ شيئًا مما هو لك ... تستولين علىَ كل مرتبي ولا أستطيع أنا أن ألمس مليمًا من مرتبك ... كل المدفوعات والنفقات والفواتير والأقساط من جيبي أنا: خياطتك ... كوافيرك ... قسط سيارتك ... بنزينك ... ثلاجتك ... غسالتك ... بوتاجازك.

سامية: بوتاجازي؟! على ذكر البوتاجاز ... اسمع يا عادل! ... لا تَنْس تتصل بهم ليرسلوا لنا أنبوبة.

عادل: وأنا الذي أتصل!

سامية: أنا عندي شغل كما تعلم.

عادل: وأنا ليس عندي شغل! وظيفتك شغل ووظيفتي لعب!

سامية: ألن تكف عن اضطهادي بثرثرتك؟!

عادل: وأنا الذي أضطهدك!

سامية: أرجوك ... دماغي وجعني! ... أريد أن آخذ حمامي في هدوء ... في هدوء ... سامع؟! قلت لك ألف مرة أَشغِل نفسك بشيء يا أخي! ... اقرأ جرائد الصباح ... امسِك الإبرة والخيط وركِّب أزرار قميصك ... جهِّز لنا الفطور.

عادل: أُجهِّز لك الفطور؟!

سامية: بدلًا من كلامك الفارغ!

عادل (يجلس على سريره ويضع رأسه في كفّيه): آه!

سامية: لماذا سكتّ؟!

عادل (في صمت مطبق): ...

سامية: عادل!

عادل (لا يرد، وينهض يمشي في الحجرة): ...

سامية: لماذا تسكت يا عادل؟ ماذا تفعل عندك؟

عادل (لا يُجيب، ولكنه يقف أمام صورتها الموضوعة في برواز على المنضدة بجوار السرير): ...

سامية: لماذا لا ترد يا عادل؟ أنت في الحجرة؟

عادل: نعم، في الحجرة.

سامية: ماذا تفعل الآن؟

عادل: أتأمّل صورتك! (يتأمل الصورة فعلًا ... ولكن بغيظ، مشيرًا بيده علامةَ من يريد خنقها.)

سامية: تتأمل صورتي؟!

عادل: نعم ... بحنان!

سامية: أهذا وقته؟! قلت لك افعل شيئًا نافعًا!

عادل: مثل ...؟

سامية: اذهب إلى المطبخ وضع اللبن على النار لحين حضور الطباخة ... بالمناسبة، هل أدرت مفتاح البوتاجاز؟ ... بعد قليل سأشعل سخان الحمام ... أنت سامع؟

عادل: سامع.

سامية: أسرِع ونفِّذ من فضلك!

عادل: حاضر ... هذا شيء غير طبيعي ... لا يمكن أن أكون أنا شخصًا طبيعيًا! (يطرق باب الحمام.)

سامية (وهي تنظف أسنانها بالفرشة وتتمضمض)**:** ماذا تريد؟

عادل (صائحًا)**:** أنا شخص غير طبيعي! سامعة؟! غير طبيعي.

سامية: غير طبيعي؟! من هو؟!

عادل: أنا ... أنا غير طبيعي.

سامية: مريض؟!

عادل: سأنفذ أوامرك ... البوتاجاز ... السخان ... الحمام ... السخان ... الحمام ... البوتاجاز ... السخان ... الحمام ... الحمام ... الحمام!

سامية: بسرعة يا عادل!

عادل: حاضر ... (يذهب إلى التليفون الموضوع فوق منضدة ويدير رقمًا ويرفع السماعة) ألو، ألو ... رأفت؟ صباح الخير يا رأفت ... اسمع، اسمع ... لا، لا ... لست مضطربًا ... أتلاحظ أنت أني مضطرب؟! لا، لا ... أبدًا ... أنا ... أنا فقط ... قل لي ... هل استيقظت؟ آه ... طبعًا أنت مستيقظ ما دمت تكلمني ... لا، لا ... أقصد هل دخلت الحمام؟ دخلت! ... آه، نعيمًا ... لا، لم أفعل شيئًا بعد ... بالعكس ... استيقظت مبكرًا ... المسألة ... لها أصل ... قل لي ... بمناسبة الحمام ... نعم، الحمام ... هل زوجتك ... لا، لا مؤاخذة ... سؤال سخيف ... لا، لا شيء ... أنا فقط أردت أكلمك لمجرد ... لمجرد ... لا شيء ... نعم، نعم ... لا شيء على الإطلاق ... لا، لا ... لا تنزعج ... أنا فقط ... فعلًا أشعر أني ... نعم، لست على ما يرام تمامًا ... لا، المسألة ليست إلى هذا الحد ... سأنزل طبعًا ... نعم، سنتقابل في المعمل كالعادة ... سامية ... في الحمام ... في الحمام يا سيدي ... في الحمام ... أُبلِّغها سلامك ... لا، لا تنشغل لا تنشغل ... أنا بخير ... بخير يا رأفت ... إلى اللقاء ... إلى اللقاء.

(سامية في الحمام تحاول عبثًا إشعال السخان طول المحادثة التليفونية ... وأخيراً تفتح الباب عندما يكون عادل يضع السماعة.)

سامية: كنت حضرتك تتكلم في التليفون وأنا حسبتك ذهبت إلى المطبخ تفتح البوتاجاز!

عادل: مكالمة مستعجلة.

سامية: مع الشركة؟

عادل: مع واحدة ست.

سامية: ست؟!

عادل: نعم ست ... صديقة.

سامية: أعرفها؟

عادل: لا، صديقة جديدة ... إنسانة لطيفة ... إنسانة ...

سامية: متزوجة؟

عادل: لا طبعًا.

سامية: من موظفات الشركة؟

عادل: لا، بعيدة عن هذا الجو ... ست فقط ... ست جميلة ... مهذبة ... مطيعة ... متواضعة.

سامية: عادل ... هذا الخيال البديع ليس وقته الساعة.

عادل: خيال؟!

سامية: طبعًا خيال ... بعد خمس سنوات زواج، لا تريدني أن أعرف من أنت؟!

عادل: ومن أنا؟!

سامية: لا تسألني كل ساعة هذا السؤال ... لاحظ أني لم آخذ حمامي بعد ... ولم أسرح شعري ... ولم أفعل شيئًا حتى الآن إلا الحديث الفارغ مع

زوجي المحترم ... حتى السخان لم أشعله لأنك تركت الجد وقعدت تدردش في التليفون!

عادل: سبحان الله!

سامية (تشير له أن يذهب إلى المطبخ): تسمح؟!

عادل (وهو يتجه صاغراً إلى المطبخ): وما الداعي إلى كلمة تسمح؟! أنت عارفة أني سأصدع بالأمر.

سامية: طبعًا عارفة ... (تفحص شعرها في المرآة.)

عادل (من الخارج وهو في المطبخ): طبعًا ... ها أنا في المطبخ أفتح لك البوتاجاز.

سامية: أشكرك! (وتتجه إلى السخان في الحمام وتشعله وهي تدندن.)

عادل (من الخارج): وزجاجة اللبن بجوار الباب ... ها أنا آخذها وأضعها فوق النار ... توجد أوامر أخرى؟

(سامية تدندن.)

عادل (يدخل وهو يمسح يدَيه ويغني): وما نيل المطالب بالتمني ...

سامية (تقترب من باب الحمام): عادل ... ناولني البشكير من عندك.

عادل (يناولها المنشفة): والبشكير.

سامية: والبرنس أيضًا.

عادل (يقدم إليها البرنس): والبرنس ... والصابون عندك والليفة؟

سامية: زجاجة الكلونيا.

عادل (يناولها الزجاجة): والكلونيا.

سامية: وعلبة البودرة.

(عادل يناولها علبة البودرة.)

سامية: والآن، اخرج أنت.

عادل: خرجت.

(سامية تغلق باب الحمام عليها وتخطو وهي تدندن نحو الحوض الكبير «البانيو»، وما تكاد تنظر داخله حتى تطلق صيحةً.)

عادل (الجالس مطرقًا يهبُّ مرتاعًا للصيحة): ما الخبر؟!

سامية (تفتح باب الحمام صائحةً): عادل، عادل ... تعال بسرعة وانظر.

عادل (وهو يتجه إلى الحمام): ماذا؟ ما الذي حصل؟

سامية (تشير له داخل الحوض): انظر!

عادل (ينظر داخل البانيو): هذا صرصار.

سامية: طبعًا صرصار ... لكن كيف دخل هنا؟!

عادل: كما تدخل الصراصير البيوت.

سامية: أقصد هنا في الحوض ... في البانيو؟!

عادل: ربما سقط من السقف.

سامية: يجب تنظيف الحوض حالًا، لكن قبل ذلك لا بد من قتله.

عادل: قتله؟

سامية: بسرعة ... عندك مبيد الحشرات في المطبخ.

عادل: وأنا الذي أتولى قتله؟!

سامية: طبعًا.

عادل: طبعًا، لكن ... انظري ... إنه سيخرج من تلقاء نفسه.

سامية: إذا خرج من تلقاء نفسه يكون أحسن ... لأن قتله داخل الحوض يوسخ الحوض.

عادل: نعم ... يحسن صنعاً لو خرج بكل لطف وأناقة؛ حتى لا يوسخ لك الحوض.

سامية: وبعد خروجه تتولى أنت إبادته بعيداً.

عادل: نعم ... بعيداً عنك.

سامية (ناظرة في الحوض): لا يبدو عليه أنه سيتمكن ...

عادل (ينظر مليًا): إنه يحاول.

سامية: لكنه يتزحلق.

عادل: جدران الحوض ملساء.

سامية: نعم ... كلما تسلق عليها انزلق وسقط.

عادل: لكنه يحاول دائماً.

سامية: نعم، ويعاود الكرّة.

عادل: بنفس الحركة.

سامية (تتابع النظر): نعم، نعم.

عادل: انظري يا سامية ... إنه يتسلق بكل قوته الجدار الأملس.

سامية: وها هو يتزحلق مرة أخرى ... ها هو يسقط إلى القاع!

عادل: وها هو يهب ليعيد المحاولة.

سامية: يصعد ... يصعد ... انزلق ... انزلق ... سقط.

عادل: ألا تلاحظين شيئًا يا سامية؟

سامية: ماذا؟

عادل: إنها نفس المسافة ... دائماً!

سامية: تقريباً ثلث المسافة إلى أعلى الحوض.

عادل: نعم، ثم يسقط.

سامية: إنه إذن غير مستطيع التسلق أكثر من ذلك.

عادل: لأن جدار الحوض، كما ترين، أكثر انحناءً قرب القاع ... وهذا يسهل عملية التسلق ... أما بعد هذه المسافة فإنه يصبح مستقيماً.

سامية: ليس هذا هو السبب ... إن الصرصار يتسلق الحائط المستقيم بسهولة، وكذلك السقف ... كل السبب هو في الملاسة ... لا يوجد حائط ولا سقف بهذه الدرجة.

عادل: وكيف إذن يتسلّق الصرصار حائطًا أملس من البلاط القيشاني وهو في ملاسة هذا الحوض؟!

سامية: ومن قال لك إن الصرصار يتسلق الحائط القيشاني؟

عادل: ألا يستطيع؟

سامية: هل رأيت ذلك مرة؟

عادل: يُخيّل إليّ أني رأيت.

سامية: يُخيّل إليك؟! أي إن حضرتك تتخيّل.

عادل: وأنت ... هل رأيت؟

سامية: لا ... وما دمت لم أرَ صرصاراً يسير على الحائط القيشاني فلا أستطيع القول إنه يمكن أن يحدث.

عادل: منطق صائب.

سامية: ألا يعجبك منطقي؟

عادل: أنا قلت إنه لا يعجبني؟! أنا فقط أتساءل ... مجرد تساؤل ... هل كل ما لم تره عيناك لا يمكن أن يحدث؟!

سامية: من قال مثل هذا الكلام؟

عادل: خُيِّل إليّ أنك قلت شيئًا كهذا.

سامية: خُيِّل إليك؟! مرة أخرى تتخيّل ... من فضلك لا تتخيّل!

عادل: أمرك ... لن أتخيّل ... وما دمتِ تريدين أن أكون واقعيًا فاسمحي لي أبحث في القاموس.

سامية: تبحث عن ماذا؟

عادل: عن عادات الصراصير! ... لحظة واحدة.

(يسرع إلى رف الكتب بجوار السرير ويأتي بالقاموس.)

سامية: بسرعة من فضلك!

عادل (يقلب القاموس): حالًا ... صر ... صرر ... صرصر ... وصرصور والجمع صراصير ... ويقال أيضًا الجُدجُد.

سامية: جُدجُد؟

عادل: نعم، جُدجُد ... وهي الأفصح.

سامية: أنا أُفضِّل كلمة صرصار.

عادل: ليست موجودة في القاموس.

سامية: لا يهمني وجودها أو عدم وجودها ... إني أُفضِّلها.

عادل: وأنا أيضًا.

سامية: وماذا في قاموسك أيضًا؟

عادل: الصرصور أو الجُدجُد أو الصرصار، كما تريدين وأريد، حشرة ضارة تعبث بالطعام والملابس والورق، وتكثر في المراحيض، لها قرون طوال شعرية أو شوارب، وهي تُفسِد من الأطعمة أكثر مما يلزمها للغذاء، ويستطيع الواحد منها أن يعيش حواليَ سنة.

سامية: سنة؟! يعيش سنة؟!

عادل: إذا سلم من الإبادة، وتُرك يستمتع بحياته.

سامية: ويفسد طعامنا وملابسنا!

عادل (يغلق القاموس): هذا كل ما في القاموس.

سامية: والآن؟

عادل: والآن ماذا؟

سامية: هل سنظل هكذا نتفرج على الصرصار؟!

عادل: فرجة ممتعة! ... ألا ترين ذلك؟

سامية: والأشغال التي أمامنا؟

عادل: حقًا ... الأشغال!

سامية: يجب أن ننتهي.

عادل: وكيف ننتهي؟ هذا شيء ليس في يدنا.

سامية: وفي يد من؟

عادل (مشيرًا إلى الصرصار): في يده هو ... إنه ما زال يتسلّق.

سامية: وما زال يسقط أيضًا.

عادل: نعم، يتسلق ثم يتدحرج ثم يسقط ... لاحظي الحركة ... تسلق ثم انزلاق ثم تدحرج ثم سقوط إلى قاع الحوض.

سامية: تسلق ثم تزحلق ثم تدحرج ثم سقوط إلى قاع الحوض.

عادل: تمام ... ثم المعاودة من جديد ... بدون راحة ... بدون هدنة ... تسلق ...

سامية: ثم تزحلق ...

عادل: ثم تدحرج ...

سامية: ثم سقوط ...

عادل: ثم تسلق ...

سامية: اسمع يا عادل ... وأخيرًا؟

عادل: إنه لم يقل كلمته الأخيرة!

سامية: أظن كفاية.

عادل: أتقولين لي أنا ذلك؟

سامية: أرجوك ... إذا كان عندك أنت وقت تضيعه فأنا ليس عندي وقت.

عادل: وما ذنبي أنا يا ربي؟!

سامية: هل سآخذ حمامي أولًا؟

عادل: تفضلي! هل أنا منعتك؟!

سامية: والصرصار؟

عادل: أنا غير مسئول إلا عن نفسي.

سامية: معنى هذا أنك تنوي أن تتركه هكذا داخل الحوض؟!

عادل: أظن يحسن تركه هكذا يحل مشكلته بنفسه.

سامية: أتمزح يا عادل؟! أهذا وقت مزاح؟!

عادل: بالعكس ... أنا في منتهى الجد ... ألا ترين أنه لا يزال يحاول إنقاذ نفسه؟! فلنتركه يحاول.

سامية: إلى متى؟

عادل: لا نستطيع لا أنا ولا أنت أن نقرر متى ... هذا يتوقف على إرادته هو ... وهو حتى الآن لا يبدو عليه نية الكف عن المحاولة ... انظري! ... لم تظهر عليه بعدُ أي علامة من علامات التعب.

سامية: ولكني أنا تعبت.

عادل: مع الأسف!

سامية: وأنت ... ألم تتعب؟!

عادل: طبعًا ... مثلك، لكن ما باليد حيلة!

سامية: بالاختصار، أنا لن آخذ حمامي في يومي، ولن ألبس، ولن أذهب إلى عملي ... كل ذلك بسبب صرصار وقع في حوض الحمام، وزوجي الهمام وقف ينظر إليه ويهذي بالكلام الفارغ!

عادل: أشكرك!

سامية: ما دمت أنت لا يمكن الاعتماد عليك، فلأنصرف أنا إذن.

عادل: ماذا ستفعلين؟

سامية: سأُحضِر مُبيد الحشرات، وأتولى الأمر بنفسي.

عادل: تُبيدين الصرصار؟!

سامية: في الحال.

عادل: اذهبي إذن وأَحضري المبيد!

سامية: وهو كذلك.

(تخرج سامية مسرعة إلى المطبخ ويُسَرٌ عادل ويغلق عليه باب الحمام من الداخل وتتنبه سامية فتستدير وتدق باب الحمام المغلق.)

(عادل في داخل الحمام يتجه إلى الحوض وهو يدندن بالغناء.)

سامية: ماذا فعلت يا عادل؟ افتح!

(عادل لا يرد عليها، وينظر إلى الصرصار في الحوض.)

سامية: عملتها يا عادل؟

عادل (مشيراً إلى الصرصار): تسلّق، تسلّق خطوة أخرى ... تشجع، تشجع.

سامية (تدق الباب): عادل، افتح!

عادل (للصرصار): اثبت ... اثبت ... دافع عن حياتك!

سامية (تدق بشدة): قلت لك افتح يا عادل ... افتح ... ألا تسمعني؟!

عادل (للصرصار): يريدون قتلك بالمبيد ... لا تخف! ... لن أفتح ... اثبت ... اثبت ... اثبت.

سامية (تدق الباب): افتح الباب يا عادل! ... افتح لي.

عادل (للصرصار): يا خسارة! تزحلقت، وتدحرجت ثم سقطت ككل مرة!

سامية (تدق الباب): ألا تسمع كل هذا الدق؟!

عادل (للصرصار): تريد أن تعاود الكرّة ... تتحرك مرة أخرى للتسلق ... لماذا لا تستريح قليلًا؟! استرح لحظة يا أخي! خذ لك راحة! ... لكن لا فائدة (صائحًا) لا فائدة!

سامية: لا فائدة؟! ... تقول لا فائدة؟!

عادل: ليس لك أنت!

سامية: نطقت أخيرًا! ... والنهاية ... ستفتح أو لا؟

عادل: لا.

سامية: تقول لا؟

عادل: نعم.

سامية: تقول لا أو نعم؟

عادل: لا ونعم.

سامية: تكلم كلامًا مفهومًا ... ستفتح أو لن تفتح؟

عادل: سأفتح ولن أفتح.

سامية: لا تضايقني ... حدِّد موقفك!

عادل: حدِّدي أنت موقفك!

سامية: موقفي أنا واضح ... واضح جدًا.

عادل: بالنسبة إلى مَن؟!

سامية: إليك طبعاً.

عادل: أنا لا أسأل عن موقفك بالنسبة إليّ ... أنا أسأل عن موقفك بالنسبة إليه هو.

سامية: هو من؟

عادل: الصرصار.

سامية: لا ... أنت مؤكد جننت! (جرس التليفون يرن فتهرع إليه ترفع السماعة) ألو ... من يا أفندم؟ ... آه، صباح الخير يا أستاذ رأفت ... لا ... لم نلبس بعد، ولم نفطر ولم نفعل شيئاً من الصبح ... لا أنا ولا هو ... كلمك؟ آه ... هو الذي كان طلبك في التليفون ... لاحظت عليه فعلاً ... غير طبيعي ... مرض ... نعم ... في الحمام ... لا ... هو حابس نفسه ... الصرصار يا سيدي ... نعم، صرصار عادي ... لا، لا ... هذه حكاية طويلة ... نعم، عندما نتقابل ... هو لا أظنه ينوي الذهاب إلى الشغل ... أنا نَفسي تأخرت ... قطعاً حصل له شيء ... لا، لا تشغل بالك ... طبيب الشركة ... وماذا يستطيع أن يعمل له طبيب الشركة؟! أنا متشكرة يا أستاذ رأفت ... أين يسرية؟ صباح الخير يا يسرية ... زوجك لاحظ وقال لك ... لا ... لا تشغلي بالك يا يسرية ... أنا متشكرة جداً لك وللأستاذ رأفت ... متشكرة، متشكرة. (تضع السماعة.)

(الطبّاخة تدخل تحمل إناء اللبن.)

الطباخة: من الذي وضع اللبن فوق النار وتركه؟ اللبن فار وفاض على الأرض ... وها هو الأبريق فارغ!

سامية (تشير إلى الحمام): حضرته!

الطباخة: وما دخله في شغل المطبخ؟!

سامية: وأنت لماذا تأخرت اليوم؟

الطباخة: المواصلات.

سامية: زحمة ... لا موضع لقدم ... أليس كذلك؟

الطباخة: تمام.

سامية: أنا فاهمة العذر ... مفهوم مقدماً.

الطباخة: أجهِّز الفطور؟

سامية: فطور؟! انتظري حتى نرى آخرتها! (تشير إلى الحمام.)

الطباخة (ناظرة إلى الحمام)**:** هو ...

سامية: نعم، جوة ... وحابس نفسه.

الطباخة: لماذا؟! كفى الله الشر!

سامية: الصرصار.

الطباخة: صرصار؟!

سامية: اسمعي يا أم عطية ... هل نظّفت أمس الحمام جيداً؟

الطباخة: طبعاً يا ست ... بحمض الفنيك.

سامية: مستحيل.

الطباخة: الزجاجة قرب المطبخ.

سامية: أنت متأكدة؟

الطباخة: وحياة الست الطاهرة!

سامية: من أين جاءنا إذن هذا الصرصار الملعون؟

الطباخة: من المنور ... من السلم ... من المواسير ... من الشقوق ... لا الصراصير ولا النمل يخلو منها بيت من البيوت ... مهما نظّفنا.

(طول هذا الوقت وعادل في الحمام منهمك في مراقبة الصرصار في الحوض، مشيراً بيديه له متتبعاً حركة تسلّقه وسقوطه، مبدياً بالإيماءات والتنهدات والتمثيل الصامت كل انفعالاته واهتماماته.)

سامية (صائحةً فجأةً)**:** أف ... وأخيراً أعصابي يا ناس ... أعصابي!

الطباخة: أحضر لك فنجان شاي؟

سامية: لا ... اذهبي أنت لعملك ... ودعيني الآن.

الطباخة: المبيد قرب المطبخ يا ست، أحضره و...

سامية: أنا عارفة أن مبيد الحشرات قرب المطبخ ... لكن المسألة أن ... اذهبي أنت يا أم عطية واتركيني ... أنا أعرف شغلي.

الطباخة: أمرك يا ست! (تخرج.)

سامية (تتجه إلى الحمام وتدق بابه): اسمع يا عادل ... أريد أن أقول لك كلمتَين ... أنت سامع؟

عادل (دون أن يتحرك أو يترك المراقبة): سامع.

سامية: أظن الحكاية طالت وزادت!

عادل (بطريقة آلية كالصدى): زادت.

سامية: والصبر له حدود.

عادل: حدود!

سامية: وأعصابي تحطمت.

عادل: تحطمت.

سامية: وتصرُّفك سخيف.

عادل: سخيف.

سامية (صائحة): هذا شيء لا يُحتمَل ... ألا ترد عليّ ... رُدّ بأي شيء ... رُد ... رُد ... رُد!

عادل: رُد ... رُد ... رُد!

سامية (تاركةً باب الحمام يائسة): لا فائدة ... لم تَعُد فائدة من الكلام مع هذا المخلوق! ... يُكرِّر الآن ألفاظي كالببغاء ... أصبح الآن في الحمام صرصار وببغاء!

الطباخة (تدخل): يا ست ... أنتم تأخرتم اليوم عن ميعادكم.

سامية: طبعًا.

الطباخة: اليوم أجازة؟

سامية: لا أجازة ولا حاجة ... اليوم شغل كالعادة.

الطباخة: طيب، لكن ...

سامية: لكن ماذا؟ حضرته حابس نفسه في الحمام ولا يريد أن يفتح ولا يريد أن يرد ... يئست من الكلام والدق ... غلبت معه بدون فائدة ... لا توجد طريقة للاتصال به.

الطباخة: ما دام قفل على نفسه بالترباس ...

سامية: لا توجد غير طريقة واحدة.

الطباخة: نجربها.

سامية: أتعرفين ما هي؟

الطباخة: لا.

سامية: كسر الباب.

الطباخة: كسر باب الحمام؟!

سامية: نعم.

الطباخة: ومن الذي يكسره؟

سامية: ألا يمكنك أنتِ؟

الطباخة: أنا؟!

سامية: فعلًا ... صعب عليك.

الطباخة: الباب جامد محتاج لنجار.

سامية: انزلي وأحضري أي نجار.

الطباخة: لا يوجد نجار قريب في الناحية.

سامية: والعمل؟

الطباخة: أمرنا لله ... نتركه لحين أن يسأم ويفتح من نفسه.

سامية: إنه لن يسأم طالما هذا الملعون على قيد الحياة!

الطباخة: لكنه لا بد له من الخروج ليلحق شغله.

سامية: سينسى الشغل أو يتناساه ... إني أعرفه ... إنه أحيانًا ينسى نفسه ... إنه في أحيان كثيرة لا يستطيع السيطرة على نفسه ... ولا على وقته.

الطباخة: وشغلك أنت يا ست؟

سامية: هنا المشكلة ... لا أستطيع الذهاب بدونه ... لأنهم سيسألونني عنه ... ماذا أقول لهم؟ أقول إنه تخلّف عن العمل لانشغاله بالفرجة على صرصار في حوض الحمام؟!

الطباخة: قولي إنه تعبان ... عنده توعٌك.

سامية: يرسلون إليه فوراً طبيب الشركة.

الطباخة: يحضر ... أهلًا وسهلًا!

سامية: وإذا كشف عليه ولم يجد عنده أي توعك؟!

الطباخة: حقًا.

سامية: إنه دائمًا يُعرِّضني معه إلى مثل هذه المحرجات ... ولولا أني دائمًا بجواره، أنقذه وأقوده، لوقع في أخطاء كثيرة.

الطباخة: ربنا يحميك ويقوّيك!

سامية: إنه دائمًا يطيعني ... ولا يخالفني أبدًا.

الطباخة: هذا شيء على يدي.

سامية: ما الذي جرى له هذا الصباح؟! أقول له افتح، افتح، افتح ... لكنه أذن من طين وأذن من عجين!

الطباخة: طول عمره يسمع كلامك!

سامية: إلا اليوم ... لا أعرف ماذا حصل له؟!

الطباخة: عين وصابت!

سامية: وآخرتها؟!

الطباخة: اصبري يا ست ... الصبر طيب!

سامية: صبري نفد ... انتهى ... فرغ ... الصبر فرغ!

الطباخة (ناظرة جهة الحمام): لكن يعني ... كل هذه فرجة على صرصار؟!

سامية: ألا تُصدِّقين؟!

الطباخة: والله يا ست، لولا كلامك المُصدّق عندي ما كان دخل عقلي هذا الكلام!

سامية: طبعًا ... هذا لا يمكن أن يحدث من إنسان طبيعي.

الطباخة: أكلمه أنا يا ست؟

سامية: أنت؟!

الطباخة: أُجرِّب؟!

سامية: جرِّبي!

(الطباخة تدق باب الحمام ... بينما عادل في مراقبته للحوض لا يتحرك.)

الطباخة (تدق مرة أخرى، ثم مرة، ومرة، وأخيرًا تصيح): أنا أم عطية.

عادل (يرفع رأسه): أم عطية؟! ماذا تريدين؟

الطباخة: أمسح بلاط الحمام.

عادل: ممنوع.

الطباخة: ممنوع؟!

عادل: ممنوع المسح اليوم.

الطباخة: أحضر قطعة صابون جديدة أضعها على الحوض الكبير.

عادل: موجود هنا الصابون.

الطباخة: وبشكير جديد؟

عادل: موجود ... كله موجود.

الطباخة: ألا تحتاج لشيء؟

عادل: أحتاج إلى انصرافك وسكوتك.

الطباخة: أمرك! (تعود الطباخة إلى سامية يائسة.)

سامية: قلت لك لا فائدة.

الطباخة: حقًا ... صحيح!

سامية: والعمل؟ لا بد من عمل شيء ... لا بد، لا بد.

الطباخة: هدئي خاطرك يا ست ... وخلِّيها على الله!

سامية: لا يمكن السكوت ... لا يمكن السكوت!

(تسير في الحجرة بحركة عصبية ... والطباخة تنظر إليها وتتنهّد ... وإذا بجرس الباب يرن.)

الطباخة: جرس الباب!

سامية: مَن يا تُرى؟

الطباخة: سأذهب وأنظر! (تخرج.)

سامية (تقف مترقبة ثم تنادي): مَن يا أم عطية؟

الطباخة (تدخل بلهفة): الدكتور يا ست!

سامية: دكتور؟! أي دكتور؟!

الطباخة: قال إنه دكتور الشركة ... أدخلته الصالون.

سامية: دكتور الشركة؟! آه! لا بد أن رأفت أرسله ... ظن المسألة تستدعي ... والآن ما العمل؟! حدث ما كنت أخشاه ... (تتجه إلى باب الحمام وتدق) عادل، افتح يا عادل ... موضوع مهم جدًا!

عادل (وأنظاره داخل الحوض): عارف مهم جدًا.

سامية: الموقف خطير!

عادل: بدون شك ... (يشير إلى الصرصار في الحوض) فعلًا موقفه خطير! ... وأنت عارفة أن موقفه خطير.

سامية: موقف من؟ إني أتكلم عن موقفك أنت.

عادل: وهذا أيضًا معروف.

سامية: افتح يا عادل ... افتح لأشرح لك الموقف.

عادل: الموقف واضح ... لا يحتاج إلى شرح.

سامية: أنت غلطان ... استجدّ شيء ... الدكتور حضر.

عادل: دكتور؟! أحضرت دكتور لإبادة هذا المسكين؟! ... دكتور حشرات طبعًا!

سامية: حشرات؟! ما هذا الكلام؟! الدكتور جاء لك أنت ... افتح ... الدكتور لك أنت.

عادل: لي أنا؟! دكتور حشرات؟!

سامية: أي حشرات يا عادل؟! دكتور الشركة ... دكتور الشركة حضر للكشف عليك.

عادل (ناهضًا): ما هذا الذي تقولين؟

سامية: افتح وأنا أفهمك.

سامية (يفطن): أفتح؟ آه! ... لا، قديمة!

سامية: أنا لا أمزح يا عادل، ولا أتحايل ... كلامي جد ... وطبيب الشركة حضر فعلًا، وموجود في الصالون ... الظاهر أن رأفت أرسله ... ظن أنك مريض.

عادل: أنا مريض؟!

سامية: رأفت فهم هذا والدكتور حضر بالفعل.

عادل: إذا كان حضر بالفعل فلماذا لا أسمع صوته؟!

سامية: إنه في الصالون ... قلت لك هو في الصالون، وأرجوك لا تجعله ينتظر أكثر من ذلك!

عادل: بالاختصار، تريدين أن أفتح؟!

سامية: طبعًا ... للتصرف في مسألة الدكتور.

عادل: دعك من حكاية الدكتور هذه.

سامية: ألا تصدق أنه موجود هنا؟

عادل: إذا كان حقًا جاء من أجلي فليتفضّل ويخاطبني بنفسه.

سامية: تريد أن يدخل هنا؟!

عادل: أليس هذا هو الطبيعي؟!

سامية: وهو كذلك ... (تنادي) أم عطية ... قولي للدكتور يتفضل هنا!

الطباخة: حاضر يا ست.

(سامية تأخذ بسرعة في ترتيب شعرها وهندامها استعدادًا لمقابلة الطبيب.)

الطباخة (على العتبة): تفضل هنا يا دكتور!

سامية (تستقبله): تفضل يا دكتور!

الدكتور (يدخل حاملًا حقيبة صغيرة): صباح الخير!

سامية: صباح الخير! ... يظهر أننا أزعجناك بدون ...

الدكتور: لا، أبدًا ... أنا كنت انتهيت من اللبس، وعلى وشك الخروج عندما طلبني الأستاذ رأفت بالتليفون ... نزلت في الحال ... ومنزلي قريب منكم جدًا.

سامية: نحن في غاية الشكر، لكن ...

الدكتور: وما الذي يشعر به الأستاذ عادل؟

سامية: هو في الحقيقة ...

الدكتور: على كل حال، كل شيء سيتضح عند الكشف ... تسمحين؟ أين هو؟

سامية: هو ... هو ... هو هنا في الحمام ... سأناديه.

الدكتور: اتركيه يأخذ حمامه على راحته.

سامية: إنه لا يأخذ حمامه ... إنه ... لحظة واحدة ... (تطرق باب الحمام) عادل، افتح يا عادل، الدكتور منتظر.

عادل: أين هو؟

سامية: هنا في الحجرة ... رُدّ عليه يا دكتور!

الدكتور: أستاذ عادل!

عادل: الله! الحكاية صحيح!

الدكتور (لسامية): ماذا يقول؟

سامية (لعادل): صدّقتَني! ... افتح الآن!

عادل (يفتح ويقف على عتبة الحمام): الدكتور؟! أنا في الحقيقة في شدة الخجل!

الدكتور: كيف حالك الآن يا أستاذ عادل؟

عادل: أنا؟! أنا بخير!

الدكتور: بخير؟

عادل: طبعًا.

سامية: لكنه كان شعر الصبح ببعض التوعك.

عادل: أنا؟!

سامية: طبعًا أنت ... منذ الصباح وأنت في حالة غير طبيعية.

عادل: أنت عارفة السبب.

سامية: مهما يكن السبب ... الدكتور حضر وانتهى الأمر ... وأنت على كل حال تأخرت على الشغل ... ولا بأس من كون الدكتور يأمر لك بيوم راحة ... أليس كذلك يا دكتور؟!

الدكتور: لا بد قبل أن أقرر أي شيء أن أكشف ... تفضل هنا على السرير يا أستاذ عادل!

عادل: ولكني ...

سامية: اسمع كلام الدكتور يا عادل ... ودعه يكشف عليك.

عادل: يكشف؟! وإذا اتضح ...

سامية: أنت على كل حال مرهق.

عادل: ولكن هذا ليس بالسبب الكافي.

سامية: إنه الآن يكفي.

عادل: إني أُفضِّل أن يعرف السبب الحقيقي.

سامية: السبب الحقيقي؟

عادل: نعم ... تعال يا دكتور.

الدكتور: أين؟

عادل (يسحبه نحو الحمام): هنا!

سامية: أنت مجنون يا عادل! (تسحب الدكتور بعيداً عن الحمام) أرجوك يا دكتور، تعال!

عادل: اتركيه يا سامية ... دعيني أخبره بالسبب الحقيقي ... (يجذب الدكتور) تعال يا دكتور!

سامية: لا تسمع كلامه يا دكتور ... (تشد الدكتور) تعال.

الدكتور (حائراً بين جذب الاثنَين): أرجوكم، أرجوكم!

سامية: اترك الدكتور يا عادل؛ هذا لا يصح!

عادل: اتركيه أنت!

سامية: دعه يكشف عليك ... إنه جاء من أجل ذلك.

عادل: لا ... سأكشف له أنا السبب الحقيقي.

سامية: لكن ليس هذا مما ... مما ...

عادل: هذا ما يجب.

سامية: أنت لا تدرك ما تفعل ... تعال هنا يا دكتور أرجوك! (تجذب الدكتور.)

عادل: ولكن الدكتور يهمه أن يعرف ما أريد أن أعرضه عليه ... وأنا واثق من ذلك ... أرجوك يا دكتور اسمع كلامي ... تعال! (يجذب الدكتور.)

الدكتور: اسمحوا لي، اسمحوا لي! (يحاول التخلص منهما.)

سامية: أنا آسفة يا دكتور ... لكن ... عادل زوجي لا يقدر.

عادل: لا أُقدِّر ماذا؟! كيف لا أُقدِّر؟! أنا أعرف تماماً ما أصنع ... ومُصِرٌّ على رأيي.

سامية: أنا حذرتك يا عادل ... أنا أحذرك.

عادل: أنا متحمل المسئولية.

سامية: وهو كذلك ... أنت حر!

الدكتور (حائرًا): ما هو الموضوع؟! من فضلكم، قولوا لي!

عادل (يسحبه إلى الحمام): تعال معي يا دكتور وأنا أشرح لك الموضوع.

الدكتور (في دهشة): أين؟

عادل (أمام الحوض): هنا ... انظر ... ماذا ترى داخل هذا الحوض؟

الدكتور (ينظر): لا شيء ... ليس به ماء.

عادل: طبعًا ليس به ماء ... لكن أليس به شيء آخر؟

الدكتور: لا، أبدًا ... إنه فارغ!

عادل: ولكن مع ذلك يوجد فيه شيء؟!

الدكتور: شيء؟! مثل ماذا؟

عادل: أتراه ناصع البياض تمامًا؟

الدكتور: نعم، تمامًا.

عادل: ولكن لا يمكن أن تقول إنه نظيف تمامًا.

الدكتور: وهل يصح الطعن في نظافتكم؟!

عادل: شكرًا على المجاملة ... لكن الحقيقة الواضحة هي أن الحوض به شيء قذر!

سامية: اعترفت الآن أنه قذر ويجب إزالته؟!

عادل: قذر شيء، وإزالته شيء آخر!

الدكتور (ينظر إليهما غير فاهم): اسمحوا لي!

عادل: انظر هنا في الحوض يا دكتور وأنت تفهم.

(الدكتور ينظر مدققًا.)

عادل: ألا ترى هناك شيئًا يتحرك؟

الدكتور (بغير اهتمام)**:** صرصار!

عادل: صرصار! عليك نور!

الدكتور: ولكن ...

عادل: هذا الصرصار يا دكتور هو بيت القصيد.

الدكتور: بيت القصيد؟!

عادل: انظر إليه جيداً يا دكتور ... ماذا ترى فيه؟

الدكتور: من أي جهة؟

عادل: من جهة سلوكه.

الدكتور: سلوكه؟!

سامية: اسكت أنت يا عادل ... دعني أنا أُفهِّم الدكتور!

عادل: لا، أرجوك يا سامية! ... اتركيني أنا أتكلم.

سامية: ولماذا لا أتكلم أنا؟! على الأقل لن أغلط.

عادل: وهل أنا أغلط؟!

سامية: لا تُحرِجني ... دعني أتكلم أنا؛ لأنك أنت لا تحسن الشرح أكثر مني.

عادل: طبعًا، لكن فقط أنا ...

سامية: أنت اليوم تخالفني على طول الخط ... بشكل غير معقول!

عادل: ليست مخالفة ... أنا لم أقصد ... لكن فقط ...

سامية: فقط ماذا؟ اسمع يا دكتور!

عادل: لحظة يا سامية أرجوك! ... دعيني أنا أولًا أتكلم؛ لأن لي وجهة نظر أخرى.

سامية: وأنا أيضًا لي وجهة نظر.

عادل: طبعًا، طبعًا ... ووجهة نظرك محترمة ... محترمة جدًا ... لكن اسمحي لي بدقيقة ... دقيقة واحدة لا غير.

سامية: لا، ولا نصف دقيقة.

عادل: أرجوك يا سامية!

سامية: لا يمكن.

عادل: سامية!

الدكتور: يا جماعة ... لا داعي لكل هذا الخلاف ... فهِّموني أولًا، ما هو الموضوع بالضبط؟

سامية: الموضوع يا دكتور ...

عادل: الدكتور جاء من أجل مَن فينا؟! أليس من أجلي أنا؟! أخبرني يا دكتور ... أنت جئت هنا من أجل مَن؟

الدكتور: من أجلك.

عادل: من أجلي ... إذن أنا الذي أشرح لك.

الدكتور: أنت أو الست ... المهم أعرف الموضوع.

سامية: سمعت يا عادل ... أنا أو أنت ... وما دمت أنا الست فأكون المُقدّمة.

عادل: حتى في هذا يا ناس؟! حتى في مرضي؟!

سامية: اعترفتَ الآن أنك مريض؟!

عادل: في نظر الدكتور ... إنه جاء طبعًا لأن في البيت يوجد مريض، والمريض مفروض أنه أنا ... لكن الحقيقة يا دكتور ...

سامية: الحقيقة أنه ...

عادل: الحقيقة أني ...

سامية (في عنف)**:** وبعدها لك يا عادل ... أرجوك ... لا تضطرني إلى ...

عادل: أنا غلطان ... غلطان كالعادة؛ لأني أنا دائمًا الغلطان!

الدكتور: المهم ... الموضوع يا جماعة ...

سامية: أنا آسفة يا دكتور ... نحن نُعطِّلك أكثر من اللازم.

الدكتور: لا أبدًا ... فقط أريد أن أفهم.

سامية: ستفهم يا دكتور ... ستفهم ... إذا سكت هو لحظة أستطيع أنا أن أفهمك.

عادل: بالعكس.

سامية: ما هو الذي بالعكس؟!

عادل: إذا سكتُّ أنا فإنه لن يفهم الموضوع.

سامية: تقصد أني عاجزة عن إفهامه ... أو أنك تقصد أني مضللة وكاذبة ومزيفة؟!

عادل: حاشا لله! أأنا قصدي شيء كهذا؟!

الدكتور: اسمحوا لي ... اسمحوا لي قطعًا لكل خلاف، اتركوني أنا أعرف الموضوع بنفسي ... أرجوك يا أستاذ عادل ... تفضل على السرير لأكشف عليك ... وأنا أعرف الحقيقة بنفسي.

عادل: لا يا دكتور، الحقيقة ليست على السرير ... الحقيقة هنا في الحوض.

الدكتور: في الحوض؟!

عادل: نعم، في هذا الحوض ... هذا الصرصار.

الدكتور: اسمحوا لي ... لا تؤاخذوني ... أنا ... أنا غير فاهم أي شيء بالمرة.

سامية: معذور ... طبعاً لا يمكن أن يفهم بهذه الطريقة.

عادل: سأوضح الموضوع في كلمتَين ... اسمع يا دكتور ... انظر جيداً إلى هذا الصرصار وقل لي ماذا يصنع الآن؟

الدكتور (ناظراً إلى الحوض): يصنع ماذا؟ ... لا يصنع شيئًا.

عادل: دقِّق النظر يا دكتور.

الدكتور: ما هو المقصود بالضبط؟

سامية: عادل يقصد أنه ...

عادل: لا، لا ... اتركي الدكتور يكشف بنفسه.

الدكتور (ينظر في الحوض مليًا): أكشف؟!

عادل: نعم، ألا ترى مثلًا أن الصرصار يحاول شيئًا؟

الدكتور: طبعاً ... يحاول الخروج من الحوض.

عادل: عظيم، عظيم ... وصلنا.

الدكتور (ينظر إليه): وصلنا إلى ماذا؟!

عادل: إلى سر الموضوع كله.

الدكتور (يهز رأسه): مفهوم، مفهوم ... كل شيء اتضح الآن.

عادل: فهمت قصدي يا دكتور؟! هذه هي نقطة البداية ... وسأشرح لك وجهة نظري.

الدكتور: لا، لا ... لا داعي للشرح ... أنا فهمت ... (يخرج من الحمام ويهمس لسامية) تسمحين بكلمة؟!

سامية (في أثره): طبعاً يا دكتور ... تفضل!

الدكتور (هامسًا لها): هو فعلًا مرهق ... كم ساعة يشتغل في المعمل؟

سامية: الوقت المعتاد ... لكن الموضوع له سر آخر.

الدكتور: أهو يعمل في شيء آخر؟

سامية: يجهز رسالة للدكتوراه ... لكن حالته هذه لها ...

الدكتور: فاهم، فاهم ... هو بالفعل محتاج لراحة ... سأكتب له كل اللازم ... تسمح يا أستاذ عادل؟

عادل (خارجًا من الحمام): ماذا يا دكتور؟

الدكتور: لا شيء ... فقط بصفتي طبيب الشركة وحضرت إليك في المنزل ... لا بد من إجراء الكشف ... مجرد إجراء لإثبات حضوري ليس إلّا ...

عادل: ولكني لست مريضًا.

الدكتور: أعرف ذلك ... ولكنه مطلوب مني تقديم تقرير ... والتقرير يجب أن يثبت فيه توقيع الكشف.

عادل: هل جئت بصفة رسمية؟

الدكتور: طبعًا.

عادل: آه، في هذه الحال يجب عليّ أن أساعدك ... لكن ماذا ستكتب في تقريرك وأنا غير مريض؟

الدكتور: اترك لي التصرف ... تفضّل هنا على السرير أولًا.

(يتمدّد عادل فوق السرير ويأخذ الدكتورُ في فحصه بالسماعة والدق والجس ... إلخ.)

عادل: وزني ازداد في السنوات الأخيرة.

الدكتور: هذا واضح ... بدأت الترهل قبل الأوان.

سامية: تربى له كرش!

عادل: من الأكل الدسم ... طبيخ أم عطية!

الدكتور: وربما من عدم الرياضة أيضًا.

عادل: ليس عندي وقت للرياضة.

الدكتور: ترهق نفسك في العمل كثيرًا.

عادل: مضطر.

الدكتور (يفحص صدره وظهره بالسماعة): خذ نفسك ... بشدة ... كفاية ... كفاية ... تدخن؟

عادل: قليلًا.

الدكتور: تكثر من القهوة؟

عادل: فنجانين في اليوم.

الدكتور: خمور؟ مكيفات؟

عادل: لا، لا ... أبدًا، أبدًا.

الدكتور: تسهر بالليل طبعًا.

عادل: أحيانًا ... عندما يستدعي عملي ذلك، لكن على أي حال لا أتعدى منتصف الليل.

الدكتور: وتنام مستريحًا؟

عادل: وأستغرق في النوم.

الدكتور: أتحلم أحلامًا مزعجة؟

عادل: لا مزعجة ولا مفرحة ... لا أحلم بالمرة!

الدكتور: ربما تحلم ولا تتذكر الحلم.

عادل: جايز.

الدكتور: ألا تشكو من شيء غير عادي؟

عادل: لا، أبداً.

الدكتور: متشكر! (يأخذ الدكتور في كتابة التذكرة في ناحية من الحجرة.)

سامية (تقترب من الدكتور)**:** خيراً يا دكتور؟

الدكتور: خير ... كله خير والحمد لله ... الصحة جيدة ... ليس عنده شيء على الإطلاق ... سأكتب له بعض المهدئات، وأقرر له ثلاثة أيام أجازة.

سامية: ثلاثة أيام؟!

الدكتور: قليل؟

سامية: بل كثير ... أكثر من اللازم.

عادل (ناهضًا)**:** ما هو الأكثر من اللازم؟

سامية: الدكتور يريد أن يقرر لك ثلاثة أيام أجازة!

عادل: ثلاثة أيام؟!

سامية: كفاية يوم واحد يا دكتور!

عادل: طبعًا يوم واحد ... وحتى هذا اليوم ما كان له لزوم ... لولا حضورك يا دكتور ... حتى يكون لمجيئك مبرر.

الدكتور: وهو كذلك ... يوم واحد يا سيدي!

سامية: شكراً يا دكتور!

الدكتور: على شرط أن يلزم الفراش.

عادل: ألزم الفراش؟!

الدكتور: ضروري.

عادل: وما وجه الضرورة؟!

الدكتور: للراحة التامة والاسترخاء الكامل.

عادل: وإذا وجدت الراحة التامة والاسترخاء الكامل في مكان آخر؟

الدكتور: أين؟

عادل: في الحمام مثلًا؟

سامية: سمعت يا دكتور؟! إنه سيمضي اليوم في الحمام!

الدكتور: لا بأس أن يأخذ حماماً فاتراً ... هذا يساعده على الاسترخاء.

سامية: إنه لن يأخذ حماماً على الإطلاق ... لا فاتراً ولا بارداً.

الدكتور: وماذا سيفعل إذن في الحمام؟

سامية: اسأله.

عادل: سأتفرج على الصرصار ... ماذا في هذا؟!

سامية: سمعت بأذنك يا دكتور؟!

الدكتور: الصرصار؟! مرة أخرى؟!

عادل: تعال معي يا دكتور إلى الحوض وسأشرح لك.

الدكتور (ينظر إلى ساعته): في فرصة أخرى ... الوقت راح ... وأمامي أعمال عاجلة.

عادل: شرحي لن يستغرق أكثر من دقيقة.

الدكتور: أعدك بزيارة قريبة ... وإن شاء الله ستكون أعصابك قد استراحت.

عادل: أعصابي مستريحة جداً ... وكان بودِّي أن تبقى قليلًا حتى ...

الدكتور: سأعود ... سأعود.

عادل: متى؟

الدكتور: بعد الظهر ... بعد الظهر.

عادل: عندما تعود بعد الظهر سيكون كل شيء قد تغيّر.

الدكتور: ما هو الذي يكون قد تغير؟

عادل: الصرصار ... يكون قد أبيد ... أتظن زوجتي ستترك الأمور على حالها؟!

سامية: طبعًا ... لا يمكن أن تمنعني من استخدام الحمام طول اليوم ... هذا غير معقول!

عادل (للدكتور): سمعت؟!

سامية: احكم يا دكتور ... أليس عليّ أن أذهب إلى شغلي في المعمل؟! ألا يكفي التأخير الذي سبّبه لي حضرته؟!

عادل: يا دكتور، أنا لم أتسبّب في تأخيرها ... تأخيرها له سبب آخر ... اسألها عنه.

سامية: ما هو هذا السبب الآخر؟!

عادل: إصرارك على أن تأخذي حمامًا اليوم.

سامية: اسأله يا دكتور ما هو السبب في عدم أخذي الحمام اليوم؟

عادل: أنا أقول لك السبب يا دكتور ... السبب هو أنها تريد إبادة هذا الصرصار.

سامية: اشهد يا دكتور!

الدكتور: الواقع أن المسألة ...

عادل: أنا واثق يا دكتور أنك ستشهد بالحق؛ لأن المسألة واضحة.

سامية: طبعًا واضحة ... لكن لا تحاول التأثير على الدكتور ... إنه فاهم كل شيء.

عادل: أنا لا أحاول التأثير على الدكتور ... أنت التي تحاولين من الصبح التأثير عليه ... ولكنه هو فاهم قصدي تمامًا.

سامية: قصدك أنت؟!

عادل: طبعاً.

سامية: تكلّم يا دكتور ... أحقًا أنك فهمت منه شيئًا؟

عادل: وهل أنت يا دكتور فهمت منها شيئًا؟!

سامية: جاوب يا دكتور!

عادل: نعم، جاوب!

الدكتور (حائرًا بينهما): أنا في الحقيقة ... الحقيقة أني ...

عادل: اسمع يا دكتور ... خلاصة الموضوع في كلمتَين: ضع نفسك في نفس المركز.

الدكتور: مركزك؟

عادل: مركز الصرصار.

الدكتور (يحمل حقيبته بسرعة): لا، اسمحوا لي!

(يخرج مهرولًا بينما عادل وسامية في أثره يصيحان به.)

سامية: انتظر يا دكتور!

عادل: لحظة يا دكتور!

(ستار)

الفصل الثالث

مصير الصرصار

(نفس المنظر، وبعد مرور أقل من دقيقة ... عادل وسامية يعودان إلى الحجرة بعد انصراف الدكتور ذلك الانصراف السريع.)

عادل: لماذا انصرف الدكتور بهذه الطريقة؟!

سامية: اسأل نفسك!

عادل: أسأل نفسي؟! لماذا؟ هل أنا غلطت في شيء؟!

سامية: أنت؟! أنت من ساعة قيامنا من النوم الصبح لم تكفّ عن الغلط.

عادل: سبحان الله!

سامية: قمنا الصبح من نومنا في أمان الله ... وتهيّأنا للخروج إلى أعمالنا ... وإذا بحضرتك تتسبّب لنا في كل هذا التأخير بدون مناسبة!

عادل: وهل أنا الذي تسببت؟!

سامية: صرصارك!

عادل: وهل أنا الذي وضعته في الحوض؟!

سامية: الغرض ... أنت اليوم في أجازة ... أجازة مرضية رسمية ... أما أنا فلا بد من ذهاب إلى شغلي ... صحيح أنا تأخرت ... لكن أمري الله! سأعتذر لهم بمرضك وحضور طبيب الشركة في البيت.

(الدكتور يظهر عائداً.)

الدكتور: لا تؤاخذوني! ... انصرفت هكذا بطريقة غير لطيفة!

عادل: لا ... العفو يا دكتور!

الدكتور: خفت أتأخر عن بقية أعمالي ... لكن بمراجعة نفسي وجدت أن واجبي الأهم هو هنا؛ لذلك رجعت بسرعة ... أستأذنكم في مواصلة فحص الحالة.

سامية: شكرًا يا دكتور!

الدكتور: لي كلمة على انفراد مع الست ... تسمح يا أستاذ عادل؟

عادل: بالطبع، بالطبع ... سأدخل أنا الحمام.

الدكتور: خذ راحتك!

(عادل يدخل الحمام ويغلق الباب عليه ... ويستأنف مراقبة الحوض باهتمام وهو يُبدي الإيماءات والإشارات متابعًا حركة الصرصار كمن يتابع لعبة شطرنج.)

سامية: يوجد شيء يا دكتور؟

الدكتور: أريد الاستفسار منك عن بعض أشياء.

سامية: تفضل!

الدكتور: ربما كان في أسئلتي بعض الحرج؛ لأنها قد تمس جوانب شخصية ... لكن واجبي كطبيب معالج يحتِّم علي ... أقدر أسأل؟

سامية: طبعًا يا دكتور ... تفضّل.

الدكتور: ما هو اعتقادك في شخصية زوجك؟

سامية: من حيث ...؟

الدكتور: من حيث القوة والضعف؟

سامية: بالنسبة إلى من؟

الدكتور: بالنسبة إليك طبعًا.

سامية: أنا أعتقد أن شخصيته أضعف من شخصيتي.

الدكتور: وهل هو يعرف ذلك؟

سامية: مؤكد.

الدكتور: هل قال لك ذلك صراحةً؟

سامية: لا، ولكنه يعتقده في دخيلة نفسه.

الدكتور: كيف عرفتِ؟

سامية: إنه يُصرِّح دائمًا بأني مُتسلِّطة عليه، وأني أرغمه على إطاعة أوامري، وأني أضطهده.

الدكتور: تضطهدينه؟!

سامية: هذا ما يقوله.

الدكتور: إذن هو يعتقد أو يتوهّم أنك تضطهدينه؟

سامية: نعم.

الدكتور: تشخيصي في محله.

سامية: أي تشخيص؟

الدكتور: مسألة الصرصار هذه!

سامية: وما هي العلاقة؟

الدكتور: أنت تريدين إبادة الصرصار ... وهو يريد إنقاذه من يدك.

سامية: تقصد يا دكتور ...؟

الدكتور: نعم، إنه في وعيه الباطن قد مثّل نفسه بالصرصار ... وهذا هو سر اهتمامه به وعطفه عليه.

سامية: عجيبة! ... أتظن يا دكتور؟

الدكتور: لا يوجد سبب آخر.

سامية: لكن ...

الدكتور: هذا نموذج واضح جداً من نماذج علم النفس الحديث ... أنا لست طبيباً نفسانياً متخصصاً ... ولكني درست هذا العلم بصفة خاصة كهواية ... ومن حسن حظي أن عرضت لي اليوم هذه الحالة.

سامية: هل أنت متأكد يا دكتور أنها حالة نفسية؟

الدكتور: حالة نموذجية Typical.

سامية: وهل لها علاج؟

الدكتور: علاجها بسيط ... في غاية البساطة.

سامية: كل ما تأمر به سأنفذه في الحال.

الدكتور: العلاج لا يُكلِّف أكثر من إقناع زوجك بأنه لا يوجد أي تشابه بينه وبين الصرصار.

سامية: وكيف أقنعه؟

الدكتور: هنا المسألة.

سامية: لا بد من إيجاد طريقة.

الدكتور: قبل كل شيء، يجب من جهتك أنت أن تعطفي على الصرصار.

سامية: أعطف على الصرصار؟!

الدكتور: ضروري ... لأن أي مساس من جهتك بالصرصار هو في نظر زوجك مساس به هو شخصياً.

سامية: لكن هذا جنون!

الدكتور: طبعاً ... هي حالة مرضية.

سامية: ولكنه عاقل تماماً ... وكان حتى هذا الصباح على أحسن ما يكون من الاتزان في كل تصرف ... وكان يؤدي عمله في الشركة على أكمل وجه.

الدكتور: وهو فعلًا في غاية الاتزان، ويستطيع دائمًا أن يقوم بعمله العادي في الشركة على أحسن ما يكون ... لا شك عندي في ذلك.

سامية: إذن هو شخص طبيعي.

الدكتور: طبيعي في كل شيء ... إلا في شيء واحد؛ هي مسألة الصرصار.

سامية: حقًا ... ما إن يأتي ذكر الصرصار حتى ...

الدكتور: حتى تظهر الغرابة في أقواله وأفعاله.

سامية: فعلًا.

الدكتور: لكن مع ذلك، لا داعي للقلق ... بقليل من الحكمة والصبر والملاطفة والمسايرة نستطيع الوصول بسرعة إلى نتيجة طيبة.

سامية: ثق يا دكتور أني سأتمسك بالحكمة والصبر، وسألاطفه وأسايره في كل ما يريد.

الدكتور: هذا هو المطلوب الآن ... ولنبدأ نحاول.

سامية: نعم، نحاول.

الدكتور: أولًا أن نذهب إليه ونشاركه فيما يفعل.

سامية (تذهب وخلفها الدكتور وتدق باب الحمام بلطف): عادل!

عادل (ينهض ويفتح لهما): انتهيتما من الحديث الانفرادي؟

سامية: نعم، كان الدكتور يوصيني ...

الدكتور: بمراعاة نظام أكل خاص لك ... أريد لك قوامًا أكثر رشاقةً.

عادل: رشاقة؟! لي أنا؟!

الدكتور: ولم لا؟ هل تريد أن نترك جسمك للترهل؟!

عادل: هل شَكَت زوجتي من قوامي؟!

الدكتور: لا، الطب؛ لأن زيادة الوزن تدعو إلى الخمول ... وأنت محتاج للنشاط.

عادل: أنا في غاية النشاط ... أنا نشيط جداً ... بدليل أني أستيقظ في الصباح قبل أن يرن جرس المنبه ... واسأل سامية.

سامية: صحيح.

الدكتور: إذن أنت معترفة لزوجك بهذه المزية؟

سامية: بدون شك ... إنه في غاية النشاط.

الدكتور: سمعت يا أستاذ عادل؟! زوجتك تشهد لك شهادة طيبة.

عادل: إنها لا تستطيع أن تنكر نشاطي ... طبعاً لست في نشاط هذا الصرصار.

الدكتور: الصرصار ... آه ... طبعاً.

عادل: انظر يا دكتور ... انظري يا سامية ... إنه لم يزل يكافح ... بنفس القوة ... بنفس المثابرة ... حاولت أن أراه يهمد ... أو يكف ... لكن أبداً ... أبداً ... أبداً.

سامية (ناظرةً إلى الحوض باهتمام تمثيلي): إنه حقّاً ... شجاع.

عادل: وأي شجاعة!

سامية: أنا بدأت أحبه.

عادل (ناظراً إليها): تحبينه؟

سامية: نعم، أليست شجاعته هذه تستحق الحب؟!

عادل: كنت تريدين إبادته بمبيد الحشرات.

سامية: كنت مغفلة.

عادل: الحمد لله!

سامية: انظر شواربه ... إنها جميلة!

عادل: شوارب من؟

سامية: الصرصار طبعاً.

عادل: شواربه جميلة؟

سامية: ألا ترى ذلك؟

عادل: تسخرين مني؟!

سامية: منك أنت؟! لا، لا ... وأقسم لك يا عادل! ... إياك أن تغضب ... أقسم لك أني لا أسخر منك ... أنا لا أسخر الآن على الإطلاق ... أنا مخلصة في كلامي ... وعندما أقول إن شواربه تعجبني فثق أني أقصد ذلك حقاً.

عادل: ومنذ متى اكتشفت جمال شواربه؟!

سامية: منذ ... منذ لحظة ... وأنا أدقق فيه النظر.

عادل: أنا شخصياً أدقق فيه النظر من الصبح ولا أجد فيه أي جمال!

سامية: هذا تواضع منك.

عادل: تواضع؟! مني أنا؟! وما هي العلاقة؟

سامية: لا، أبداً ... لا، لا.

الدكتور: بالتأكيد لا توجد علاقة على الإطلاق.

سامية: طبعاً يا عادل ... تأكد أنه لا توجد علاقة.

عادل (ينظر إليهما): ما كل هذا الارتباك؟!

سامية: لا أبداً يا عادل ... كل شيء طبيعي ... كل ما في الأمر أني أنا والدكتور فهمنا وجهة نظرك تماماً.

الدكتور: فعلاً ... فعلاً.

عادل (في شكٍّ نحوهما): وما هي وجهة نظري؟

سامية: هي ... هي أن هذا الصرصار ...

الدكتور: لا ينبغي أن يُمَس بسوء.

سامية: نعم، نعم.

عادل: أتعرفون لماذا؟

سامية: نعرف ... نعرف.

عادل: لا يا سامية ... أنا واثق أنك لا تعرفين بالضبط ... سأشرح لك وللدكتور.

سامية: لا، لا داعي يا عادل ... لا داعي ... نحن نعرف ونقدر ... وإن شاء الله كل شيء سيعود إلى حالته الطبيعية ... بقليل من الحكمة والصبر.

عادل: نعم، قليل من الصبر ... كل المطلوب هو قليل من الصبر؛ لأن الأمر قد يطول بعض الشيء، لكنه على أي حال مهم ومثير ... أنا لا أسأم من النظر والمراقبة ... وما دام هذا الصرصار يكافح هذا الكفاح للخروج من مأزقه، فلا يجوز لنا نحن أن نقضي عليه.

سامية: ومن قال إننا سنقضي عليه؟! بالعكس يا عادل ... سأحافظ عليه بكل عناية ... وأفديه بروحي!

عادل: تفتدينه بروحك؟! أرجوك يا سامية ... لا لزوم للسخرية.

سامية: أبدًا يا عادل أبدًا ... ماذا أفعل لأقنعك أني لا أسخر مطلقًا؟!

عادل: على الرغم من كل شيء ... كفاح هذا الصرصار يثير في نفسي الاحترام!

سامية: ومن قال إننا أقلُّ منك احترامًا له؟! ... نحن متفقون معك يا عادل ... متفقون تمامًا ... وربما كنا أكثر منك احترامًا وتقديرًا له ... أليس كذلك يا دكتور؟

الدكتور: طبعًا، طبعًا.

عادل: أكثر مني؟ ... لا، لا أظن.

سامية: ولم لا؟

عادل: لأني أنا ألاحظه من الصباح الباكر ... وأتابع كل حركة من حركاته ... إن كمية القوة المختزنة فيه تدهشني ... إنها قوة عجيبة!

سامية: أنا معك في هذا يا عادل ... وثق أني أراه قوي الشخصية بشكل عجيب.

عادل: قوي الشخصية؟!

سامية: ألا تعتقد ذلك؟

عادل: أظنها مبالغة أن نقول إن له شخصية.

سامية: ثق يا عادل أن له شخصية قوية ... ويجب أن تعتقد ذلك.

عادل: اسمعي يا سامية ... لا تخلطي في الأوصاف ... كون الصرصار له هذه القوة وهذا الإصرار، هذا شيء مقبول ومعقول ... لكن القول بأن له شخصية ... لا، يبقى زيادة!

سامية: أنا مصرة على أن له شخصية ... وربما كانت شخصيته أقوى من شخصيتي ... ألست معي في هذا يا دكتور؟

الدكتور: جائز جدًا.

عادل: ما هو الجائز جدًا يا دكتور؟ ... شخصية هذا الصرصار أقوى من شخصية سامية؟!

الدكتور: لا تبالغ يا أستاذ عادل في قوة شخصية الست زوجتك ... مع تقديرنا الكامل لها.

عادل: أنا لا أبالغ، لكن مقارنة زوجتي بصرصار؟!

سامية: أنا موافقة يا عادل ... موافقة.

عادل: ليست مسألة موافقة أو غير موافقة ... نحن نتكلم في المقارنة ذاتها.

سامية: ولماذا نرفض المقارنة ما دام الصرصار يدعو إلى الاحترام؟ هذا يشرفني.

عادل: سنعود إلى السخرية؟!

سامية: أبدًا يا عادل وأقسم لك ... أنا جادة كل الجد ... واسأل الدكتور.

عادل: اسمعي يا سامية ... عندما تفقد الكلمات حجمها الطبيعي فإن كل شيء يفقد جديته ... وأنا بدأت أشعر أنك متفقة مع الدكتور على تهزيء أفكاري.

الدكتور: حاشا لله يا أستاذ عادل!

سامية: لا يا عادل أرجوك ... لا تتهم الدكتور هذه التهمة ... إنه أبعد الناس عن المساس باحترامك ... إنه لم يعطل أعماله الأخرى ويكرس لنا كل وقته من أجل السخرية منك ومن أفكارك.

الدكتور: بالعكس ... أنا ... في الحقيقة.

سامية: لا تقل شيئًا يا دكتور ... شعورك واضح.

عادل: أنا آسف ... أنا ولا شك أسأت الفهم.

سامية: تأكد يا عادل أننا كلنا متفقون معك في الرأي ولا يوجد بيننا الآن أي خلاف ... الصرصار هو محل إعزازنا كما هو محل إعزازك.

عادل: إعزازي؟!

سامية: نعم، وإكرامًا له ولك صممت ألّا آخذ حمامًا اليوم ... لأثبت لك أني لن أحاول مسه بسوء.

عادل: متشكر.

سامية: أليس هذا يسرُّك؟

عادل: طبعًا يسرني.

سامية: كل ما يسرّك يا عادل ويُرضيك سأُحقِّقه لك في الحال.

عادل: ما كل هذه الرقة الآن؟!

سامية: إني نادمة على كل ما بدر مني.

عادل: وماذا بدر منك؟!

سامية: لم أكن لطيفة معك في كل الأحيان.

عادل: هذا من حقك بصفتك امرأة وزوجة، لكن أنا من واجبي بصفتي الرجل والزوج أن أتحمّل.

سامية: لا، لن تتحمل بعد الآن ... لن أجعلك تتحمل.

عادل: ما الذي حصل الآن؟! ما الذي جرى في الكون؟!

الدكتور: زوجتك من أطيب الزوجات يا أستاذ عادل، وهي مطيعة لك طاعةً عمياء.

عادل: منذ متى؟!

سامية: منذ اليوم.

عادل: ولماذا اليوم؟!

سامية: لأنه ... لأني ...

الدكتور: لأنها طبعاً لا تريد أن تراك مريضاً.

عادل: ولكني لست مريضاً.

الدكتور: طبعاً، طبعاً ... أنت لست مريضاً على الإطلاق.

سامية: قصد الدكتور أنك ...

الدكتور: فعلاً ... قصدي أنه اتضح أنك لم تكن مريضاً، وهذا ثبت من الكشف عليك ... ثق من ذلك ... إنما المقصود كله هو استبعاد فكرة المرض، لا المرض ذاته ... مجرد رؤية دكتور في البيت جاء من أجلك، جعل زوجتك تشعر نحوك بشيء من ...

سامية: نعم، نعم ... مجرد أن أراك تأخذ أجازة مرضية ...

عادل: أنا لم آخذ أجازة مرضية ... الدكتور هو الذي أعطاها لي لمجرد أن يكتب تقريره ... أما أنا فلم أكن في حاجة إلى أجازة.

الدكتور: هذا صحيح ... صحيح.

سامية: على أي حال يا عادل، أنا كنت مخطئة في حقك.

عادل: أحيانًا.

سامية: أنا معترفة!

عادل: لن تدخلي إذن الحمام قبلي؟

سامية: لا، أبدًا ... تُبْت.

عادل: لن تقولي لي جهِّز الفطور؟

سامية: تُبْت ... تُبْت!

عادل: لن تفرضي إرادتك وأوامرك علي؟!

سامية: تُبْت ... تُبْت ... تُبْت!

عادل: وما السر في هذا الانقلاب المفاجئ؟!

سامية: لم أكن أدرك أن تصرفاتي هذه معك سيكون لها مثل هذه النتائج!

عادل: أي نتائج؟!

الدكتور: تقصد ... تقصد غضبك.

عادل: ولكني لم أغضب ... إني كنت أتحمل تصرفاتك بضيق أحيانًا ... نعم، كنت أضيق بك أحيانًا كثيرة ... ولكني لم أغضب منك.

الدكتور: كنت تكبت ...

عادل: أكبت؟

الدكتور: تكبت في أعماق نفسك ... وهذا الكبت هو الذي ... هو الذي يؤدي إلى ... يؤدي إلى ...

عادل: يؤدي إلى ماذا؟

الدكتور: يؤدي إلى ... تعكير المزاج.

عادل: فعلًا ... تعكير المزاج ... لكن في لحظتها فقط!

سامية: ربما تَرسّب في نفسك شيء.

عادل: منك أنت؟! لا، مطلقًا.

سامية: كدت أعتقد هذا الصباح أنك كرهتني.

عادل: كرهتك؟!

سامية: نعم، بمناسبة مبيد الحشرات ...

عادل: أتُسمّين هذه كراهية؟! مجرد المضايقة البسيطة بسبب رغبتك في إبادة هذا الصرَصار؟!

سامية: لم أكن أعرف أهميته.

عادل: وهل عرفت الآن حقًا أهميته؟

سامية: بالتأكيد.

عادل: أشك!

سامية: ولماذا تشك؟

عادل: لأنك لا تلاحظينه بالاهتمام الكافي ... انظري ... إنه الآن مثلًا قد بدأ يقف في قاع الحوض وقفات طويلة ... ما معنى ذلك؟

سامية (تنظر باهتمام): معناه أنه ...

عادل: انه أخذ يستريح.

سامية: نعم.

عادل: بعد هذا الجهد المتواصل، لا بد أن يحتاج إلى فترات راحة يقف فيها كما قابعًا ترين ... يُحرِّك شواربه في سكون قبل أن يعاود التسلق من جديد.

الدكتور (ينظر في اهتمام): بدأ فعلًا يتحرك ببطء ليتسلّق.

سامية: حقًا ... ها هو قد تسلّق.

عادل: خذوا بالكم جيدًا ... خذوا بالكم من النقطة التي يبدأ عندها في التزحلق.

سامية: نعم، نعم ... نفس النقطة ... ها هي ... ها هو قد انزلق.

الدكتور: وسقط إلى موضعه من القاع.

عادل: انظروا ... إنه ينهض من عثرته ... ويبدأ في التسلق مرة أخرى.

سامية: وسينزلق ... ها هو ... ها هو قد انزلق ... يا له من مسكين! ... إنه يفعل نفس الشيء منذ الصباح.

عادل: وربما منذ الليل؛ لأننا استيقظنا فوجدناه في الحوض ... لا بد إذن أنه سقط فيه من السقف أثناء الليل.

سامية: عندي سؤال يا عادل ... تسمح؟

عادل: طبعًا يا سامية ... اسألي!

سامية: ألم تفكر في إنقاذه مما هو فيه؟

عادل: إنقاذه؟!

سامية: نعم، لماذا لا تنقذه؟

عادل: هو ينقذ نفسه.

سامية: وكيف ينقذ نفسه؟! إنه لن يستطيع أبدًا ... إنه طول الوقت يحاول بدون فائدة لأن الحوض فارغ وأملس، ولا يوجد شيء يتسلّق عليه غير الجدران الملساء التي ينزلق عليها.

عادل: هو وشأنه.

سامية: ساعده على الأقل ... ساعده بشيء يا عادل ... اجعل طرف البشكير مثلًا يتدلى داخل الحوض ... أو نأتي له بخيط ندلي به إليه ... أو أي شيء آخر يساعده على الخروج.

عادل: ولماذا نفعل ذلك؟

سامية: لإخراجه ... لإخراجه حيًا ... ألست تريد له النجاة؟!

عادل: من قال إني أريد له النجاة؟!

سامية: عجيبة! لا تريد نجاته؟! تريد إذن موته؟!

عادل: ولا أريد أيضًا موته.

سامية: ماذا تريد له إذن؟!

عادل: لا أريد له شيئًا ... أنا لا شأن لي به.

سامية: طبعًا، طبعًا ... أنت لا شأن لك به على الإطلاق ... لا علاقة لك به ... لا علاقة أبدًا ... أنت شيء وهو شيء آخر ... هذا ما نعرفه جيدًا ... أليس كذلك يا دكتور؟!

الدكتور: بدون شك.

سامية: تأكد يا عادل أننا على يقين تام أنه لا صلة لك بهذا الصرصار ... وهذا ما نتمنّى نحن لك أن تعرفه جيدًا وأن تعتقده.

عادل: وهل أنا لا أعرف ذلك؟!

سامية: المهم الاعتقاد في قرارة نفسك.

عادل: الاعتقاد بماذا؟!

سامية: الاعتقاد بأنه لا توجد أي قرابة ولا أدنى تشابه بينك وبينه.

عادل: تشابه بيني وبينه؟! وبعدها لك يا سامية؟! أَبَلَغَ الأمر إلى هذا الحد؟! تتحدثين عن تشابه بيني وبين الصرصار؟!

سامية: بالعكس ... أنا يسرني ويسعدني ألا يكون هناك أي تشابه.

عادل: إذن هذا التشابه موجود في نظرك.

سامية: ليس في نظري أنا يا عادل.

عادل: في نظر من إذن؟

سامية: في نظرك أنت.

عادل: في نظري أنا؟! في نظري أنا أني أشبه الصرصار؟!

سامية: إذن أنت لم تَعُد ترى ذلك؟

عادل: أرى ماذا؟! أرى أني أشبه الصرصار؟! من أي ناحية أشبهه؟! أخبريني من فضلك! إنك ولا شك تجاوزت الحدود ... هذا كثير يا سامية ... كثير جداً ... أشبه الصرصار؟! أنا؟! من أي جهة؟! من جهة الشوارب؟! إذا كان من جهة الشوارب فأنا حليق كما ترين ... من جهة الملامح؟ القسمات؟ التقاطيع؟ تكلّمي! ... تكلمي! ... تكلمي!

سامية: تكلم أنت يا دكتور أرجوك!

الدكتور: اسمحي لنا بلحظة على انفراد.

سامية: سأذهب يا دكتور لأحضر لك فنجان قهوة! (تخرج وتترك الدكتور وعادل على انفراد.)

الدكتور: اسمع يا أستاذ عادل، أولًا زوجتك مخلصة لك كل الإخلاص، ولا تقصد إطلاقًا جرح شعورك.

عادل: بعد الذي سمعته؟!

الدكتور: صدّقني ... إنها تحترمك وتُقدّرك، وتضعك في مكانة عالية جداً رغم اعتقادكَ أن شخصيتك أضعف من شخَصيتها.

عادل: شخصيتي أضعف من شخصيتها؟! من قال ذلك؟!

الدكتور: لا، لا أحد ... هذا مجرد فرض ... مجرد احتمال ... أن يكون هذا هو اعتقادك الداخلي.

عادل: لم يخطر على بالي إطلاقًا مثل هذا الفرض أو الاحتمال!

الدكتور: ربما مثلًا ... تكون طلباتها ... أو ما يمكن أن تفهم منه أنه أوامرها.

عادل: فعلًا، فعلًا ... هي صاحبة طلبات وأوامر ... بل أكثر من ذلك ... تحكّمات ... بل ورغبة في التسلّط.

الدكتور: أنت معترف بهذه النقطة؟

عادل: بالتأكيد.

الدكتور: ترى إذن أن لها رغبة في التسلط؟

عادل: طبعًا ... مثل أغلب الزوجات، خصوصًا من كانت مثلها تخرّجت مع زوجها في نفس الكلية، وتوظّفت معه في نفس العمل.

الدكتور: إذن المساواة بينكما تامة في كل شيء؟

عادل: في كل شيء.

الدكتور: ومع ذلك تريد هي أن تمتاز وأن تتسلّط وتتحكم؟

عادل: بالضبط ... حالة زوجتي.

الدكتور: وأنت تركتها تتسلط وتتحكم؟

عادل: نعم، أتدري لماذا؟

الدكتور: لأنها هي ...

عادل: لا ... أرجوك ... انتظر ... لا تتعجّل وتستنتج من ذلك أنها هي أقوى مني شخصيةً ... تلك مزاعمها هي.

الدكتور: مزاعمها؟!

عادل: قل لي بصراحة يا دكتور ... أليست هي التي قالت لك شيئًا كهذا؟

الدكتور: أظن.

عادل: نعم، هذا ما أعرفه عنها ... إنها في دخيلة نفسها تعتقد أني أضعف منها شخصيةً.

الدكتور: وهل هذا غير صحيح؟

عادل: طبعًا ... غير صحيح بالمرة ... هي حرة تعتقد في نفسها ما تعتقد ... إذا كان غرورها يُصوِّر لها ذلك فلتتصور ما شاءت.

الدكتور: لكن هذا لا يمنع أنك تطيعها وتنفذ كل أوامرها؟

عادل: رغبةً مني في إرضائها ... لأنها امرأة ... امرأة ضعيفة ... فرحانة بشبابها ونهوضها ونبوغها ... لا أحب أن أصدمها في اعتقادها بتفوقها وقوتها ... إني أعتبر ذلك نذالة ... نذالة مني أنا الرجل القوي ... وأرى أن واجب الرجولة هو إشعارها بقوتها وأهميتها ... ورفع روحها المعنوية.

الدكتور: رفع روحها هي؟! عجيبة! المسألة انعكست.

عادل: أي مسألة؟

الدكتور: سؤال آخر يا أستاذ عادل ... مسألة الصرصار.

عادل: ما له الصرصار؟

الدكتور: اهتمامك به!

عادل: وأنتم ما سر اهتمامكم باهتمامي؟!

الدكتور: لا أبدًا ... أبدًا ... فقط ...

عادل: اسمع يا دكتور ... المسألة كلها بدأت تتّضح لي ... فهمت الآن ... فهمت ... جماله ... وشواربه ... وشخصيته ... والتشابه ... إذن كان قصدكم أني ...

الدكتور: بصراحة يا أستاذ عادل نعم.

عادل: نعم؟!

الدكتور: غرضنا كله كان مجرد المعاونة.

عادل: والمشاركة ... المعاونة والمشاركة مع زوجتي في مثل هذا الكلام.

الدكتور: لا يا أستاذ عادل ... هذه نظرية معروفة.

عادل: نظرية؟! أي نظرية؟!

الدكتور: أنا في الحقيقة لست متخصصاً في الطب النفساني، لكني درسته كهواية ليس إلا؛ ولذلك ...

عادل: مفهوم ... ولذلك اعتقدت أني من فصيلة الصراصير!

الدكتور: لا، ليس هذا بالضبط ... على كل حال أنا الآن غيّرت رأيي.

عادل: الحمد لله! رأيت الآن أني «بني آدم»؟!

الدكتور: اعذرني يا أستاذ عادل ... ملابسات الموضوع كلها تجر إلى هذا الاتجاه.

عادل: أرجوك يا دكتور ... فهِّمني بالتفصيل ما الذي قام في ذهنكم طبقاً لطبكم النفساني؟

الدكتور: لا، لا لزوم الآن ... أنا متأسف!

عادل: وزوجتي سامية كانت تعرف رأيك هذا؟

الدكتور: نعم.

عادل: وهي التي ساعدتك على أن ترى أني صرصار؟!

الدكتور: لا يا أستاذ عادل لا، ليس الأمر هكذا ... ليس هكذا بالضبط، وأؤكد لك ... أؤكد لك.

عادل: اسمع يا دكتور ... أحب أقول لك بكل صراحة إن أي تشابه بيني وبين الصرصار هو مجرد ...

الدكتور: العفو، العفو يا أستاذ عادل ... قصدنا شريف ... قصدنا والله شريف!

عادل: اسمح لي أكمل ... إذا اعتقدتم أني أشبه الصرصار فأنتم مخطئون.

الدكتور: طبعًا ... وأي خطأ! ... أنا معترف أني أخطأت التشخيص ... معترف أني مخطئ ... وألف مرة مخطئ!

عادل: نعم ... خطأ جسيم؛ لأني لا يمكن أن أصل إلى المستوى الرائع الذي وصل إليه الصرصار.

الدكتور: ماذا تقول؟! المستوى الرائع؟!

عادل: نعم.

الدكتور: أأنت جاد؟!

عادل: كل الجد ... وأكرر ما قلت.

الدكتور: إذن أنت معجب بهذا الصرصار؟!

عادل: وأُقدِّره.

الدكتور: وتُقدِّره؟!

عادل: وأحترمه.

الدكتور: وتحترمه؟!

عادل: وأفهمه جيدًا.

الدكتور (ناظرًا إليه فاحصًا ومدققًا)**:** مفهوم ... مفهوم، وتتمثل به وتتخيّل نفسك ...

عادل: في مكانه؟

الدكتور: نعم، مثله.

عادل: نعم، أتخيل ذلك.

الدكتور: إذن أنت ... أنت ...

عادل: أنا ماذا؟

الدكتور: لم أَعُد أدري ... أنت حيّرتني يا أستاذ عادل!

عادل: أرجوك يا دكتور كفاية تطبق عليّ طبّك النفساني مرة أخرى ... الأمر أبسط من كل ذلك بكثير، وسأشرحه لك بوضوح ... تسمح؟

الدكتور: تفضل!

عادل: أولًا، تخيل أنك صرصار!

الدكتور: أنا؟!

عادل: أو أن الصرصار هو أنت.

الدكتور: يا أستاذ عادل!

عادل: أرجوك ... لا تنظر إليّ هذه النظرات ... أنا فاهم معنى نظراتك تمامًا ... أنت لم تزل تشك ... أنت فعلًا في حيرة من أمري ... ولكني أؤكد لك مرة أخرى أن الأمر يختلف تمامًا عما يجول برأسك.

الدكتور: إذن استخدامك هذه الألفاظ هو من قبيل المداعبة أو ...

عادل: خدها على أي معنًى شئت ... المهم أن تترك معنى حكاية الطب النفساني هذه وتكون معي طبيعيًا.

الدكتور: أكون طبيعيًا؟!

عادل: نعم ... هل أنت الآن طبيعي؟!

الدكتور: والله أنا ... في الحقيقة ...

عادل: غير متأكد؟!

الدكتور: لم أَعُد أدري شيئًا!

عادل: أنا أقول لك ... اترك نفسك على السجية ... انسَ أنك دكتور ... ولنأخذ الموضوع بمنتهى البساطة ... هل أنت مستعد؟

الدكتور: نعم.

عادل: عظيم ... ماذا كنت أسألك؟

الدكتور: سألتني عن ...

عادل: نعم، تذكرت ... سألتك أن تتخيّل أنك ...

الدكتور: أني صرصار.

عادل: أو أن الصرصار هو أنت.

الدكتور: فعلًا ... فعلًا.

عادل: والآن، إلى الخطوة الثانية.

الدكتور: لكن انتظر ... في حالتي لا يمكن ...

عادل: لا يمكن ماذا؟

الدكتور: لا يمكن أن أكون صرصاراً.

عادل: لماذا؟

الدكتور: لأني ... لم أتزوج بعد.

عادل: وما هي العلاقة؟!

الدكتور: يظهر أني أسأت التعبير.

عادل: لا، أنت فقط أسأت فهمي ... أنا لم أطلب منك أن تكون الصرصار العائلي ... بمعناه النفساني ... لا، أنا أقصد الصرصار الحقيقي الذي أمامك في هذا الحوض.

الدكتور (يشير إلى الصرصار في الحوض): هذا؟!

عادل: نعم ... هذا البطل.

الدكتور: بطل؟!

عادل: بالتأكيد بطل ... تخيّل نفسك في بئر عميقة، جدرانها من المرمر الأملس ... واستحال عليك الخروج بعد محاولات مضنية ... ماذا تفعل؟!

الدكتور: أيأس طبعًا.

عادل: إنه هو لم ييأس.

الدكتور: حقًا ... أراه يكرر المحاولة عشرات المرات.

عادل: بل مئات المرات ... لقد جعلت همي منذ الصباح أن أحصي العدد.

الدكتور: أكنت مشغولًا بذلك منذ الصباح؟!

عادل: نعم، أردت أن أعرف متى ينتهي كفاحه!

الدكتور (ناظرًا باهتمام حقيقي): حتى الآن يبدو عليه أنه لن ينتهي قريبًا.

عادل: فعلًا، تعبنا نحن من المشاهدة، ولم يتعب هو من المحاولة.

الدكتور (متابعًا النظر): أي أمل له في النجاة؟

عادل: لا أمل طبعًا.

الدكتور: إلّا إذا تدخلت أنت وأنقذته.

عادل: وأنا لن أتدخل.

الدكتور: ولم لا ما دمت معجبًا به؟!

عادل: يجب أن أتركه لمصيره.

الدكتور: لو أنه كان يستطيع الصياح، وصاح بك سائلًا معونتك، أما كنت تَرِقُّ له وترحمه؟!

عادل: ربما ... ولكنه صامت لا يصيح.

الدكتور: من أدراك؟!

عادل: ماذا تقول؟!

الدكتور: أقول من أدرانا أنه لا يصيح الآن طالبًا المعونة، ولكن ذبذبات صوته لا تلتقطها أذنك؟!

عادل: جائز جدًا.

الدكتور: تصوّر أنه الآن يصيح ويتضرّع ... وأنت لا تسمع ولا تفهم لغته.

عادل: هو أيضًا لا يسمعني ولا يراني.

الدكتور: نعم، كل اتصال بينكما مقطوع.

عادل: ليس مقطوعًا تمامًا ... بدليل أني مهتم به.

الدكتور: أنت مهتم بكفاحه من أجل الحياة.

عادل: إذن هذا هو صوته وابتهاله ولغته التي أستطيع أن أسمعها وأفهمها.

الدكتور: فعلًا ... اهتمامنا بكفاحه هذا الاهتمام.

عادل: أليس هذا هو ما يُبقيني أمام الحوض منذ الصباح؟

الدكتور (ناظرًا في الحوض): الواقع أنها فرجة ممتعة.

عادل (ناظرًا مثله): أليس كذلك؟

الدكتور: حقًا ... لكن يدهشني امتناعك عن مساعدته قليلًا ولو على سبيل المكافأة على الفرجة.

عادل: إنه فعلًا يستحق.

الدكتور: نحن فيها ... هيا نخرجه من ورطته!

عادل: نخرجه حيًا؟

الدكتور: طبعًا.

عادل: وسامية ... هل تقبل ذلك؟

الدكتور: إن قلبها رحيم.

عادل: أنا شخصيًا أُفضّل عدم إدخال العواطف في حكاية كهذه ... وإلا كان موقفنا مضحكًا بالفعل.

(تظهر سامية على العتبة تحمل القهوة.)

الدكتور: بالعكس ... الموقف الآن لم يَعُد مضحكًا على الإطلاق ... إنه أصبح مفهومًا ومقبولًا ... وقد بدأت أنا نفسي أجد الموضوع جديرًا بالمتابعة.

سامية (تتقدّم بالقهوة)**:** القهوة يا دكتور.

الدكتور (دون أن يرفع نظره عن الحوض)**:** شكرًا ... سأتناولها بعد لحظة.

سامية: يظهر أن الصرصار شغلك أنت أيضًا يا دكتور!

الدكتور (وهو يتابع مشاهدته)**:** الواقع أن الأمر أصبح يهمني.

سامية: لا بد أن هذا المرض أصبح معديًا!

عادل (يلتفت إليها)**:** أي مرض؟!

سامية: الدكتور فاهم قصدي.

الدكتور (يتنبّه)**:** هيا نشرب القوة أولًا.

(يخرجون جميعًا إلى الحجرة، ويجلس الدكتور على مقعد، وتضع سامية صينية القهوة فوق مائدة صغيرة بجواره.)

سامية: انتهيت من فحصك يا دكتور؟

عادل: فحص من؟ فحصي؟!

سامية: لا يا عادل ... هذه مجرد كلمة للدكتور.

الدكتور: أظن يُستحسَن الآن الكلام بصراحة؛ لأنه لم يَعُد محل ولا لزوم لإخفاء شيء ... الأستاذ عادل في أتمِّ صحة وعافية ... ويستطيع أن يلبس ملابسه ويخرج من الآن إذا شاء.

سامية: والأجازة يا دكتور؟!

الدكتور: هذه مسألة أخرى ... لكن زوجك يا سيدتي على حق في كل شيء ... وأنا أؤيد تصرفاته كل التأييد ... وليس فيها أي ظاهرة غريبة.

سامية: والصرصار؟!

الدكتور: ما له الصرصار؟! أنا شخصيًا أتمنّى أن أكون مثل الصرصار.

سامية (تغمز بعينَيها للدكتور)**:** آه، مفهوم ... فهمت يا دكتور.

الدكتور: لا، بالشرف ... كلام جد.

سامية: كلام جد؟!

عادل: فعلًا يا سامية ... كلام جد ... الدكتور فهّمني كل شيء ... وأطلعني على كل شيء بالمفتوح ... وعلى كل حال، الله يسامحك!

سامية: صحيح يا دكتور؟

الدكتور: الواقع أننا كنا فاهمين الموقف فهم خاطئ ... واتجهنا اتجاه غلط.

سامية: يعني عادل ...

الدكتور: طبيعي مائة في المائة.

سامية: الحمد لله ... الحمد لله ... أنا كنت في شدة القلق عليك يا عادل.

عادل: كنت فاهمة أن بيني وبين الصرصار صلة نسب!

سامية: أنا معذورة يا عادل ... حبك الشديد له ...

الدكتور: بالعكس ... اتضح أنه لا حب ولا غيره ... لأنه لو كان يحبه كان رحمه وأنقذه ... أملنا كله الآن في رحمتك أنت.

سامية: رحمتي أنا؟!

الدكتور: نعم، وأنا شخصيًا أتقدم إليك بالرجاء ... وأتشفع له عندك.

سامية: تتشفّع لمن يا دكتور؟!

الدكتور: للصرصار.

سامية (صائحة): دكتور ... دكتور ... عادل، ماذا جرى للدكتور؟!

الدكتور: لا تنزعجي، لا تنزعجي ... أنا بخير وعافية.

سامية: بخير وعافية ... مثل زوجي؟!

عادل: نعم، مثلي طبعًا.

سامية: يا للمصيبة! أنت والدكتور؟! ... لم يَبْق إلا أنا وأم عطية ... والدور علينا ... لا، لا يمكن ... أنا خارجة حالًا ... أم عطية ... أم عطية.

عادل: ماذا جرى يا سامية؟! جُننت؟!

سامية: أنا التي جننت؟!

الدكتور: اهدئي يا سيدتي ودعينا نُفهِّمك.

الطبّاخة (تظهر): ناديت يا ست؟

سامية: نعم أنا خارجة ... جهِّزي الحمام.

الطباخة: حاضر يا ست.

(تدخل الحمام بسرعة وتفتح حنفية الحوض.)

عادل (لا يفطن إلى ما يحدث بالحمام ويتجه إلى زوجته): اهدئي يا سامية ... اهدئي قليلًا ... ودعينا نُفهِّمك.

الدكتور: أعصابك ثائرة يا سيدتي بدون مبرر ... لو سمحت لنا بكلمة واحدة!

سامية: لا، لا لزوم يا دكتور!

عادل: ألا تريدين التفاهم؟

سامية: كفاية التفاهم بينك وبين الدكتور ... أنتما الآن متفاهمان ضدي.

الدكتور: ليس ضدك يا سيدتي ... أهذا معقول؟! أنا فقط اقتنعت وجهة نظر الأستاذ عادل وفهمت حقيقة غرضه وتصرُّفه.

سامية: ولهذا أصبحت مثله.

عادل: مثلي؟! قصدك صرصار؟!

الدكتور: هذا يشرفني.

سامية: أرأيت؟! إنها عدوى ولا شك.

(الطباخة في الحمام بعد أن فتحت الحنفية وملأت الحوض تمد يدها وتُخرِج الصرصار ميتًا بطرف أصابعها وتلقي به في ركن من الحمام.)

الطباخة: ملات الحوض يا ست!

عادل (متنبهًا): ملأت الحوض؟! (يهرع إلى الحمام صائحًا بعد أن نظر إلى الحوض) الحقني يا دكتور ... حدث ما كنا نخشاه.

الدكتور (في أثره): ماذا حدث؟!

عادل: الصرصار مات!

الدكتور: مات؟!

عادل: مات غريقًا ولا شك ... لكن أين هو؟ أم عطية ... أين الصرصار الذي كان هنا في الحوض؟

الطباخة (تشير إلى ركن الحمام): رميته هنا ... موقتًا! (تخرج.)

عادل: يا خسارة!

الدكتور: فعلًا ... خسارة!

سامية: نأتي لكم بندّابة؟! نحضر لكم موسيقى تمشي أمام جنازته؟!

عادل: كفاية سخرية من فضلك!

الدكتور: اترك الموضوع يا أستاذ عادل ... ما حصل حصل ... أنت من الأصل أردت تركه لمصيره ... وها هو مصيره.

عادل: نعم، كان لا بد له أن ينتهي أي نهاية ... تعال نُلقِ على جثته نظرة أخيرة.

الدكتور: أين جثته؟

سامية: جثته؟! حتى أنت يا دكتور؟!

(عادل والدكتور يبحثان عن الصرصار في ركن الحمام مُدقِّقَين النظر.)

عادل (يصيح فجأةً): انظر ... انظر يا دكتور ... هذا النمل ... من أين أتى هذا النمل؟!

الدكتور (ينظر): نعم ... فصيلة من النمل تحمله.

سامية: نمل؟!

عادل: نعم ... نمل يحمل جثة الصرصار ... تعالي يا سامية انظري ... منظر عجيب حقًا ... جماعة من النمل تحمل الصرصار وتصعد به الحائط ... انظر يا دكتور إنها تتجه به نحو شق من هذه الشقوق.

الدكتور (ناظرًا متابعًا): هذا ولا شك بيتها، أو قريتها، أو مخزنها الذي ستُخزِّن فيه هذه الغنيمة.

عادل: خذ بالك من هذه النخلة في المقدمة ... أتراها؟!

الدكتور: نعم ... إنها تجر الصرصار من شاربه.

عادل: كما لو كان حبلَ مَركبٍ.

الدكتور: وهذه الجماعة من النمل في المؤخرة ... تدفعه دفعاً الخلف ... أترى؟

عادل: العمل مُوزّع بينها بنظام عجيب!

الدكتور: والأعجب أنها تصعد بسرعة ... على الرغم من حملها الثقيل.

عادل: لم يَبْقَ بينها وبين الشق أو المخزن غير مسافة ليست كبيرة ... لكن انظر يا دكتور ... يبدو أن فتحة الشق أصغر من حجم الصرصار ... كيف يمكن إدخاله؟!

الدكتور: لا تَخَفْ، سيدخل ... لا شيء يستعصي على عبقرية النمل.

سامية (وهي تطل عليهما من الباب): خلصنا من بطولة الصرصار ودخلنا في عبقرية النمل!

عادل (وهو مستمر في المتابعة): أنا أشك في إمكان إدخال الصرصار من هذا الشق الصغير.

الدكتور (يتابع النظر هو الآخر): عما قليل سنرى ...

(جرس التليفون يرن.)

سامية (وهي تهرع إلى التليفون): تليفون يا عادل ... ربما كان لك.

عادل (يلتفت ويلحق بها): لي أنا؟

سامية (ممسكة بالسماعة): ألو ... من يا أفندم؟ الدكتور؟ نعم، موجود ... لحظة واحدة ... (تنادي) التليفون يا دكتور!

الدكتور (يهرع ويمسك بالسماعة): ألو ... الشركة ... آه، أنا الدكتور ... أهلاً وسهلاً ... أين هذه الحالة؟ شارع ... رقم ... انتظر حتى أُدوِّن ... (ويُخرِج دفتره الصغير ويكتب) كم الرقم مرة أخرى؟ متشكر ... الحالة التي في يدي ... آه، انتهيت منها الآن ... مطمئنة ... لا، لا خطورة على الإطلاق ... مجرد توعك ... سأبلغه ... شكراً! (يضع السماعة.)

عادل: يسألون عني في الشركة؟

الدكتور: طبعاً.

سامية: ظنوا الحالة خطيرة؟

الدكتور (لعادل): يُبلِّغونك تمنياتهم بالشفاء.

عادل: الشفاء؟!

سامية: وأنا أيضاً أضمُّ صوتي إليهم!

عادل: نعم؟! نعم؟!

(في تلك الأثناء تكون الطباخة قد انسلّت إلى الحمام حاملةً جردل ماء وخرقة، وجعلت تُنظّفه وتزيل ما على الحائط من نمل دون أن يفطن الآخَرون المشتغلون بالحديث.)

الدكتور (ناظراً في ساعته): أنا مضطر أتركم ... حالة أخرى في انتظاري.

سامية: حالة أخرى؟!

الدكتور: في شارع بعيد ... لا يصح أتأخر ... إلى اللقاء!

عادل: انظر يا دكتور ... أتذهب هكذا قبل أن تُلقِي نظرة على النمل.

سامية: تريد أن تُعطِّل الدكتور من أجل النمل أيضاً؟!

الدكتور: أنا في الحقيقة يهمني ذلك ... هيا بنا نلقي نظرة.

عادل: هيا بنا ... لعل النمل يكون نجح في إدخال الصرصار هذا الشق.

سامية (تُشيِّعهما بنظرات مستغرِبة): عجيبة والله!

(عادل والدكتور ما يكاد الاثنان يبلغان الحمام حتى تخرج منه الطباخة بجردلها.)

الطباخة (لسامية): نظفت الحمام يا ست.

(سامية مشغولة بإخراج ملابسها من الدولاب.)

عادل (في الحمام): مصيبة لو كانت أم عطية عملتها.

الطباخة (بدون فهم): عملتها؟

عادل (صائحًا أمام الحائط): يا خسارة، يا خسارة! ...

الدكتور: (خلفه ينظر إلى الحائط)عملتها؟!

عادل: عملتها ... انظر ... أزالت النمل والصرصار وكل شيء ... نظفت الحائط من كل ما عليه.

الدكتور (خارجًا من الحمام): سوء حظ!

عادل (للطباخة وهو خارج): لماذا يا أم عطية؟! لماذا؟!

الطباخة: أنا عملت حاجة؟!

عادل: لا، ولا حاجة ... اذهبي لشغلك والسلام ... لعنة الله عليك!

(الطباخة تخرج مندهشة والدكتور يحمل حقيبته.)

الدكتور: رجائي أن تمضي يومك في راحة ... وتعود غدًا إلى عملك في أحسن حال إن شاء الله!

عادل: وما الذي يبقيني إلى الغد؟! سألبس الآن وأذهب إلى العمل حالًا.

الدكتور: لا أرجوك ... أنت مفروض أنك اليوم في أجازة.

عادل: وماذا أعمل الآن بهذه الأجازة؟! ألا يمكنك أن تلغيها؟

الدكتور: كيف ألغيها؟! الشركة تعرف أني هنا، وأني جئت من أجل هذه الحالة ... ماذا أقول لهم؟! أقول إنه ...

سامية: إنه قاعد يتفرج على صرصار!

الدكتور: لا تُعقِّد الأمور يا أستاذ عادل ... يوم أجازة ويمضي ... ويُحَل الإشكال.

سامية (تحمل ملابسها): أنا داخلة الحمام ... عن إذنكم ... أظن دخول الحمام الآن غير ممنوع!

عادل: يا فرحتك!

سامية: انصحه يا دكتور أنه يمضي يوم الأجازة في عمل مفيد.

عادل: وما هو العمل المفيد في نظرك؟

الدكتور: على كل حال ... الأستاذ عادل يعرف كيف يمضي الوقت في شيء ممتع ومفيد.

سامية: أراهن أنه سيمضي يومه جالسًا يكتب مذكرات عن مصير الصرصار!

الدكتور: وأين هو الآن الصرصار؟! لم يَبْقَ له أثر ... حتى ولا شارب واحد من شواربه.

عادل: المهم هو كفاحه من أجل حياته.

الدكتور: نعم، وهذا ما سيظل عالقًا بذاكرتي ... إلى اللقاء جميعًا.

سامية: نحن في غاية الشكر يا دكتور ... ونأسف على تعطيلك عندنا كل هذا الوقت ... بدون مبرر.

الدكتور: بالعكس ... بالعكس.

سامية: أرجو أن تكون الحالة التي أنت ذاهب إليها أكثر جديةً!

الدكتور: ثقي أني لم أضيِّع وقتي عندكم عبثًا ... إلى اللقاء! (يخرج بسرعة.)

سامية (وهي داخلة الحمام): اسمع يا عادل ... أنت اليوم عندك أجازة ... يكون في معلومك ... أريد أن تمضي هذا اليوم في عمل نافع ... سامع؟! عندك ملابسي وفساتيني منكوشة في الدولاب ... اقعد رتِّبها وعلِّقها بالراحة ... واحدة واحدة ... أرجع من شغلي ألقى كل شيء نظّمته ورتّبته ... مفهوم؟

عادل (في إطراق عميق): ...

سامية: سامعني؟!

عادل: سامع.

سامية: وإياك فستان واحد يطبق منك أو يتكرمش ... مفهوم؟!

عادل (صائحًا)**:** مفهو... و... و... م!

سامية: أنا حذرتك! (تدخل الحمام وتغلق عليها.)

عادل (يصيح)**:** يا أم عطية ... هاتي الجردل والخرقة وأزيليني من الوجود!

(ستار)

جدول المحتويات

١ - الصرصار ملكًا
٢ - كفاح الصرصار
٣ - مصير الصرصار